مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٩

تداوُليَّة الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي الشريف الموجَّه إلى الطفل وعلاقتها بمبدأ التأدب

أ.د. عزة أحمد مهدي

azza.ali@qu.edu.sa

أ. أسماء نغيمش الحربي

قسم اللغة العربية وآدابها– كلية اللغات والعلوم الإنسانية– جامعة القصيم– المملكة العربية السعودية

3634@qu.edu.sa

الكلمات المفتاحية: التداولية– الأفعال الكلامية – الخطاب النبوي الموجه للطفل – مبدأ التأدب.

كيفية اقتباس البحث

مهدي، عزة أحمد ، أسماء نغيمش الحربي ، تداوُليَّة الأفعال الكلامية في الخطاب النبوي الشريف الموجَّه إلى الطفل وعلاقتها بمبدأ التأدب،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، أيلول ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٩ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Pragmatics of Speech Acts in the Noble Prophetic Discourse Addressed to Children and Their Relationship to the Politeness Principle

Prof. Dr. Azza Ahmed Mahdi
Ms. Asma Naghimish Al-Harbi
Department of Arabic Language and Literature – College of Languages and Humanities – Qassim University – Kingdom of Saudi Arabia

Keywords : Pragmatics - Speech acts - Prophetic speech addressed to the child - The principle of politeness.

How To Cite This Article
Mahdi, Azza Ahmed , Asma Naghimish Al-Harbi, The Pragmatics of Speech Acts in the Noble Prophetic Discourse Addressed to Children and Their Relationship to the Politeness Principle,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, September 2026,Volume:16,Issue 9.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

This research examines speech acts and their impact on the Prophetic discourse addressed to children, specifically in relation to the principle of pragmatic politeness. It aims to explore meanings lying beyond the literal sense of the Prophetic discourse to uncover the intended underlying messages—a process that requires a careful analysis of the text to identify the unique characteristics distinguishing it from other forms of discourse.

The study encompasses all Hadiths of the Prophet (peace be upon him) that involve actual communication between him and a child, as well as the contexts in which these interactions occurred. This was achieved through a comprehensive survey of authentic Hadiths found in the six major collections (*Al-Sahihayn*—Bukhari and Muslim—and the four *Sunan* collections) and the *Musnad* of Imam Ahmad.

Given the significance of the Prophetic discourse addressed to children, this research adopts a pragmatic approach, focusing on the illocutionary function of the discourse and the influence of various situational contexts on its structure. It also investigates the impact of this discourse on the recipient by analyzing "speech acts," which embody real-life instances of language use.

الملخص:

تناول البحث أفعال الكلام وأثرها في الخطاب النبوي الموجه إلى الطفل وعلاقة ذلك

بمبدأ التأدب التداولي، وهو يهدف إلى البحث فيما وراء المعاني الحرفيَّة للخطاب النبوي بُغيةَ الوصول إلى ما خلف الخطاب من معانٍ مقصودةٍ؛ وذلك مرهونٌ بتأمُّل النص لاستخراج خصائصه التي ينمازُ بها عن غيره من النصوص والخطابات المختلفة.

وقد شملت الدراسة جميعَ أحاديث الرسول ﷺ التي تحقَّق فيها التواصُل الفعلي بينَه وبينَ الطفل، والسياق الذي جرت فيه؛ وذلك باستقراء الأحاديث الصحيحة الواردة في كتُب الصحاح الستة (البخاري، ومسلم، والسنن الأربعة)، ومسند الإمام أحمد.

ولأهمية الخطاب النبوي الموجه للطفل اتجه البحث إلى دراسته تداوليًا، بالتركيز على الوظيفة الإنجازيَّة له؛ ومعرفة تأثير السياقات المقاميَّة المختلفة على نظام هذا الخطاب. وما يخلِّفُه من تأثير في نفس المتلقي من خلال دراسة (أفعال الكلام) التي تُجسِّد مواقف الاستعمال اللغوي في الواقع.

وتتمثل مشكلة البحث في الكشف عن فاعليّة المنهج التداوليّ في دراسة الخطاب النبويّ الموجّه للطفل، وما يعكسه من بُعدٍ توجيهيّ يتماشى عبر طريقين اثنين من جهة الاستعمال التداوليّ: الأول: طريق يسير على المصرّح به، والآخر يسير على غير المصرّح به (الضمني)، وهو المقام الذي يتحرك فيه الخطاب النبويّ التوجيهيّ، مع خصوصية مبدأ التأدب الذي كان يجريه النبي – عليه الصلاة والسلام– في خطاباته، وذلك من خلال العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة، ومحاولة الوقوف على المقاصد العليا للرسول –صلى الله عليه وسلّم– بالتركيز على السياق المحيط بالخطاب والمتلقّي، وما يستقبله مما يستوجبه الخطاب استلزامًا.

وقد اقتضى ذلك تقسيم البحث إلى مطلبين بعد التمهيد:

المطلب الأول: الجانب النظري وفيه: مفهوم أفعال الكلام – أهمية الأفعال الكلامية في الدرس التداولي– مفهوم مبدأ التأدب.

المطلب الثاني: الجانب الإجرائي التطبيقي، وفيه: تحليل نماذج من خطابات النبي ﷺ الموجَّهة للطفل، والتي اشتملت على الأفعال الكلاميَّة ومدى صلتها بمبدأ التأدب.

وقد أفضى هذا البحث إلى الكشف عن البُعد التداوُلي في الخطاب النبوي الموجَّه إلى الطفل والقوَّة الإنجازيَّة لهذا الخطاب، وأنَّ قيمته ليست محصورةً في البناء الدلالي فقط، وإنَّما في ارتباطه بالسياق المحيط بإنتاجه؛ حيث ينتقل من الطابع الدلالي إلى الطابع التداوُلي الذي يفسِّر العلاقة بينَ اللغة والمتخاطبين، وكذا الأثر الناتج عن عمليَّة التخاطُب. وبهذا التناول للجانب التواصلي والاستعمالي يكمّل البحث ما سبقه من دراساتٍ أفاد منها عُنيت بالجانب الشكلي والجمالي لبلاغة الخطاب النبوي الشريف.

المقدمة:

تُعَدُّ التداوُليَّةُ من المناهج التي عُنيت بتحليل الخطاب، والعلاقة بينَ المتكلِّم والمخاطَب؛ وذلك بما تمتلكه من آليَّاتٍ تُسهمُ في دراسة المنجَز اللُّغوي، وتُعَدُّ نظريَّة الأفعال الكلاميَّة من أهم مجالات الدراسة التداوُليَّة، التي تُبين عن أنَّ الكلام لا يُقصَد لذاته، وإنَّما يستعمله الناسُ للتواصُل معَ الآخرين والتأثير فيهم. وأنّ ثمَّةَ كلمات يُراد بالتلفُّظ بها في مناسباتٍ وظروفٍ ملائمةٍ القيامُ بفعل معيَّن، وليست مجرَّد وصف للفعل يَحتمل الصدق والكذب.

موضوع البحث:

وانطلاقًا من القيمة المعرفيَّة والمنهجيَّة لهذا الموضوع اتَّجهتُ إلى البحث فيه تحت عنوان "

تداوُليَّة الأفعال الكلاميَّة في الخطاب النبوي الشريف الموجَّه إلى الطفل وعلاقتها بمبدأ التأدب" وذلك في محاولةٍ لقراءة الخطاب النبوي قراءةً جديدةً تُبرِز خفاياه الكامنة في السياقات المختلفة، وتكشف عن التفاعُل بينَ أطراف الخطاب في الموقف التواصُلي، فهي تدرس الخطابَ النبويَّ الموجَّه للطفل في الجانب التداوُلي، وليس في الجانب البنيوي الشكلي المعروف؛ إذ ليس المرادُ الوقوفَ عند الناحية الصوتيَّة أو الصرفيَّة أو الدلاليَّة، وإنما يتعدَّى ذلك إلى البُعد التواصُلي، والاهتمام بالمعنى المضمَر في النص.

وتنطلق أهميَّة هذا البحث من عدَّة أمورٍ منها:

– أهميَّة الخطاب النبوي بما يمتلكه من حقيقةٍ لُغويَّةٍ تخاطُبيَّةٍ، تُحقِّق أُفقًا معرفيًّا ومنهجيًّا وإجرائيًّا واسعًا، معَ أهم النظريَّات اللسانيَّة عامَّة، والتداوُليَّة خاصَّة؛ فقد أُوتيَ ﷺ (جوامع الكَلِم).

٢– منزلة المنهج النبوي التربوي، من جهة مقاصده التداوُليَّة في حياة الطفل؛ تربيةً وإعدادًا وتوجيهًا، ومدى صلته بحقل التربية والتعليم.

ومن أبرز **أهداف هذا البحث:**

١– تطبيق أبعاد المنهج التداوُلي (نظرية أفعال الكلام – مبدأ التأدب) بمفهومهما المعاصر في دراسة الخطاب النبوي من خلال المدوَّنة المدروسة (أحاديث النبي الموجَّهة للطفل)، والصالحة لكل زمان ومكان.

٢– الكشف عن الارتباط الوثيق بينَ الوسائل التعبيريَّة والرمزيَّة المستخدَمة في الخطاب النبوي، وصلتها بالعبارات اللغويَّة الحاملة للشحنات الدلاليَّة من منظور الدرس التداوُلي.

وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

١– ما المراد بنظرية أفعال الكلام عند كل من أوستن وسيريل؟

٢– ما أهمية أفعال الكلام في الدرس التداولي؟

٣– ما مفهوم مبدأ التأدب؟

٤– ما مدى الارتباط بين الوسائل التعبيريَّة والرمزيَّة المستخدَمة في الخطاب النبوي الموجه للطفل، وصلتها بالعبارات اللغويَّة الحاملة للشحنات الدلاليَّة من منظور الدرس التداوُلي، ومبدأ التأدب.

الدراسات السابقة

وبالنظر إلى الرسائل والأبحاث المسجَّلة في هذا السياق لم أجد دراسةً تناولت الخطاب النبوي من جهة الطفل، وهي مرتكِزة على الجانب التداولي، ممثلًا في نظريَّة الأفعال الكلاميَّة، ومبدأ التأدب المشار إليه من قِبَل روَّاد النظريَّة التداوُليَّة، بل وجدتُ العديد من الدراسات التربويَّة، وبعض الدراسات البلاغيَّة التي ناقشت المدوَّنة النصيَّة وَفقَ المناهج التقليديَّة البعيدة عن مسار الدرس التداوُلي، ومن هذه الدراسات:

١– رسالة ماجستير مسجَّلة في قسم الأدب والبلاغة، الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة، في عام ١٤٣٧هـ، بعنوان: **(أحاديث الرسول ﷺ معَ الأطفال دراسة بلاغيَّة تحليليَّة)**، تقدَّم بها الباحث: علي محمَّد عمر المختار يوسف، وأشرف عليها الدكتور: محمَّد بن عبد العزيز نصيف، وهي دراسة تركّز في مجمَلها على علوم البلاغة، وبخاصةٍ عِلمَا البيان والبديع، في حين تركِّز فكرة هذا البحث على جوانب التأثير، ومحاولة الوصول إلى الأغراض الإنجازيَّة التي حواها الخطاب النبوي الموجَّه للطفل باستخدام الأدوات اللسانيَّة الحديثة.

٢– رسالة ماجستير مسجَّلة في قسم التربية الإسلاميَّة والمقارنة، جامعة أُم القرى، في عام ١٤٣٠هـ، بعنوان: **(خطاب النبي للطفل المسلم وتطبيقاته التربويَّة)**، من إعداد الطالب: محمَّد بن صالح بن علي العلوي، وإشراف الأستاذ الدكتور: السعيد محمود السعيد عثمان، وتركّز الدراسة على الجانب التربوي المستنبَط من الخطاب النبوي للطفل، وأبرز الأساليب التربويَّة التي تضمَّنها الخطاب النبوي للطفل المسلم، وتطبيقاته في التربية الحديثة، وهي مختلفة تمامًا عن فكرة هذا البحث؛ فقد تناول الباحث الخطاب التربوي وأبعاده، ولم يُشِر من قريبٍ أو بعيدٍ إلى مبدأ

التأدُّب والأفعال الكلاميَّة.

٣- مقال بعنوان: **(أساليب التلطف النبوي معَ الأطفال في الصحيحَين، دراسة بلاغيَّة تحليليَّة)**، لكمال أحمد محمَّد زين، مجلة حوليَّة كليَّة اللغة العربيَّة بجرجا، العدد السابع عشر، ٢٠١٣م، مصر.

٤- مقال بعنوان: **(الخطاب التوجيهي في الحديث النبوي الشريف في ضوء اللسانيَّات التداوُليَّة)**، لحسن حسين علي حسين، مجلة الآداب، المجلد ٢٠١٤م، العدد ١١٠، ج١، ديسمبر، ٢٠١٤م.

وإجمالًا فإنَّ تلك الدراسات تناولت الخطاب النبوي في علاقته بواقع الطفل؛ تربيةً، ونشأةً، وتوجيهًا، وغيرها، وهو تصوُّرٌ -كما يبدو لي- يبعُد عن مسار البحث البلاغي، ويرتبط بحقل علم التربية، وهو مختلف عن الدرس الأدبي

وأما ما يميّز هذا البحث، فهو المقاربة التداوُليَّة التي أريدُ أن أُسْقِطها عليه كإجراءٍ تداوُليٍّ، هذا من جهة، ثم مدى استقلاليَّة الخطاب النبوي في سياقه التوجيهي للطفل تبعًا لمفهوم التأدُّب في سياقه الفلسفي الغربي من جهة أُخرى.

وقد استند هذا البحث إلى المنهج التداوُلي الذي يدرُس النصَّ بوصفه خطابًا تواصليًّا، ويقوم على ربطه بالسياق؛ للكشف عن الظروف والملابسات التي أحاطت بالخطاب النبوي الموجَّه للطفل؛ وذلك من خلال الاطلاع على ما أمكن من شروح الحديث المعتَمَدة؛ للتعرُّف على زمن وقوع الحوادث الواردة فيه، ومكانها، والأشخاص الذين شاركوا فيها؛ لما في ذلك من أهميَّةٍ في إدراك مغزى الخطاب، والكشف عن قصديَّته، وتأثيره في المتلقِّين.

التمهيد (الخطاب النبوي الموجه للطفل):

بعثَ اللهُ نبيَّه محمدًا ﷺ خاتمًا للنبيين برسالةٍ هي خاتمةُ الرسالات السماويَّة للبشريَّة جمعاء حتى قيام الساعة، فخطابه ذو أبعادٍ تكليفيَّة؛ لذا اعتنى النبيُّ ﷺ بالمتلقِّي عنايةً كُبرى بوصفه المكلَّف بأوامره ونواهيه، المحتكِم لشرع الله الذي جاء به، وقد كان خطابه معَ أصناف المتلقِّين خطابًا مثاليًّا، بل هو الصورة النموذجيَّة للخطاب الإنساني الذي يُحقِّق معايير التواصُل الناجح؛ حيث التناغُم والقبول بينَ الملقي والمتلقِّي، فضلًا عن الأسلوب التربوي الذي أهَّلَ صاحبه لأنْ يكون قائدًا عظيمًا.

ولما كان الطفل هو البذرة الأولى للإنسان البالغ المكلَّف اهتمَّ المصطفى ﷺ بإعداده اهتمامًا بالغًا -رغم المسؤوليَّة العظمى والأعباء الجسيمة التي كان يتولَّاها- فقد أوْلى الطفل عنايته كفردٍ من أفراد المجتمع المسلم، وغمَرَه بحبه وحنانه، فسأل عنه، وسلَّم عليه، وابتسم في وجهه، وتواضَع له، فأدْناه منه وداعَبَه وقبَّله، وخاطَبَه بما يتناسَب معَ المرحلة العمريَّة التي يعيشها، وما يُرجى أن يكون عليه في مستقبله خطابًا يقعُ ضمنَ التكليف الإلهي له بضرورة تبليغ الدين لكل فئات المجتمع، فحَظِيَ الأطفال بوافر توجيهاته التي حفظها لنا هؤلاء الأطفال صغارًا، ورَوَوْها لنا كبارًا؛ لتصبحَ منهجًا تربويًّا للمعلمين والمربين.

المطلب الأول:

أولًا- مفهوم أفعال الكلام:

تكمُن فكرة الأفعال الكلاميَّة التي تُشكِّل الأساس للدرس التداوُلي في العلم "بأنَّ الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لُغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معيَّن أيضًا في الوقت نفْسه"[١]،

والفعل الكلامي مفهوم حديث النشأة، وُلِد في رحاب الفلسفة التحليليَّة الغربيَّة، وتحديدًا في رحاب فلسفة اللغة، وهو نظريَّة لغويَّة اكتسبت مكانتها الحقيقيَّة عندما تبنَّاها فلاسفة مدرسة أكسفورد: أوستين (Austin) وسيرل (Searle) اللذان درسَا العلاقة بينَ المتكلم واللغة. ويُقصَد به: "الإنجاز الذي يؤديه المتكلِّم بمجرَّد تلفُّظه بملفوظات معيَّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة، فهذه كلها أفعال كلاميَّة"[٢] بوصفها أغراضًا إنجازيَّة تؤثِّر في سلوك المخاطَب، وليست فقط مضامين ودلالات لُغويَّة. "وهذا يتوافَق معَ أهميَّةِ اللغة وحَدِّها عند ابن جني الذي يُعرِّفها بأنها: أصواتٌ يُعبِّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم، وهذا يؤكد أنَّ وظيفة اللغة تؤدي دورًا أساسيًّا في الدرس التداوُلي"[٣].

ويُعرِّفه أوستن في كتابه (نظريَّة أفعال الكلام العامَّة) بقوله: "الفعل الكلامي هو النطقُ ببعض الألفاظ أو الكلمات؛ أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، متصلة على نحوٍ ما بمعجم معيَّن، ومرتبطة به، ومتمشِّية معه، وخاضعة لنظامه"(٤). فالفعل الكلامي من هذا المنطلَق هو: إنجاز ذو طابع اجتماعي يتحقَّق بمجرَّد التلفُّظ به.

و"إذا طبَّقنا هذا المعنى على اللغة العربيَّة؛ فإنَّ (المعاني والإفادات) التي تُستفاد من صيغ التواصُل العربي وألفاظه: كمعاني الأساليب العربيَّة المختلفة، خبريَّة كانت أم إنشائيَّة، ودلالات (حروف المعاني)، و(معاني الخوالف)، وأصناف أُخرى من الصيغ والأساليب العربيَّة هي التي تمثِّل نظريَّة (الأفعال الكلاميَّة) في التراث العربي، وتُجيب عن السؤال المتعلِّق بمفهوم الفعل الكلامي كما يتصوَّره المعاصرون"(٥).

وعُرِّف الفعل الكلامي أيضًا بأنه "أصغر وَحدة لاتصال إنساني، يُمارس بها المتكلِّمُ فعلًا تجاهَ سامع، وهو يتكوَّن من مكوِّنَين، من محتوًى قضوي، ووظيفة إنجازيَّة"(٦).

ويُعرِّف مسعود صحراوي الفعل الكلامي بأنه: كلُّ ملفوظٍ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلًا عن ذلك يُعَدُّ نشاطًا ماديًّا نحويًّا يتوسَّل أفعالًا قوليَّةً Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازيَّة Actes illocutoires (كالطلب، والأمر والوعد، والوعيد... الخ)، وغايات تأثيريَّة Actes Perlocutoires تخصُّ ردود فِعل المتلقِّي (كالرفض والقبول)، ومن ثَمَّ فهو فِعل يطمح إلى أن يكون فعلًا تأثيريًّا؛ أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطَب اجتماعيًّا أو مؤسَّساتيًّا، ومن ثَمَّ إنجاز شيءٍ ما"(٧)، وعليه فموضوع الأفعال الكلاميَّة يتمحور بالأساس حولَ ما نفعله بالتعابير التي ننطق بها(٨)

ولذا فقد قامت نظرية الأفعال الكلامية على ركيزتين رئيسيتين هما:

– أن الكلام فعل.

– أن إدراك المعنى الحقيقي للمنطوقات اللغوية إنما يتحقق في الاتصال الفعلي، أي: من خلال الاستعمال.

ويُعد الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستن" (ت١٩٦٠م)هو واضع أساس نظريَّة (الأفعال الكلاميَّة)، ومكتشف القوَّة الإنجازيَّة لأفعال الكلام؛ برفضه لثنائيَّة الصدق والكذب، وجَعْله كل قول هو فعل يُنجَز، وإن افتقدت نظريَّتُه للأُسُس المنهجيَّة الواضحة والثابتة؛ فقد حال الموت دون مواصلته ما بدأ به، "ولكنَّ نظريَّته استؤنِفَت على نحوٍ واسعٍ في السنوات الموالية، واستأنف وريثه المباشر الفيلسوف الأمريكي (جون سيرل) برنامجَه خصوصًا ما يتعلَّق منه بأهميَّة تصنيفيَّة الأعمال اللغويَّة"(٩)، ثم صارت هذه الفكرة مقبولة لدى كل اللسانيين الذين يعتدُّون بالنظريَّة الملفوظيَّة، وقد "فتحت نقاشًا واسعًا انخرطت فيه ثُلَّة من الباحثين من أمثال: سيرل وجرايس وفان إيمرن وغيرهم، الأمر الذي عمَّق نظريَّة أوستين وجعَلَها أكثر اتِّساعًا واستيعابًا لجملة من القضايا المرتبطة بتداوُليَّات أفعال الكلام"(١٠)، وفيما يأتي عرضٌ لنظريَّة "جون سيرل" المطوَّرة بعد أستاذه "أوستن".

-بدأ "سيرل" (ت٢٠٢٥م) في دراسته للأفعال الكلاميَّة من حيث انتهى أستاذه "أوستن"، فبدأت معه مرحلة التطوير والتنظيم لهذا المشروع الفلسفي؛ حيث سعى إلى إكساب هذه الظاهرة نضجًا وضبطًا منهجيًّا، معَ إضافته لتعديلات على التصنيف السابق لأستاذه، "وكان ما قدَّمه عن الفعل الإنجازي والقوَّة الإنجازيَّة كافيًا لجعْل الباحثين يتحدَّثون عن نظريَّة سيرل في الأفعال الكلاميَّة بوصفها مرحلة أساسيَّة تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستن"(١١).

-صدَرَ كتاب سيرل (الأفعال اللغويَّة) بالإنجليزيَّة عام ١٩٦٩م، وتُرجم للفرنسيَّة عام ١٩٧٢م، وبعد سنوات من صدور كتاب الأعمال اللغويَّة، صدَرَ له مقال بعنوان: (تصنيف الأعمال المتضمَّنة في القول) تناوَلَ فيه "سيرل" الأعمال المتضمَّنة في القول من زاوية التصنيف.

ولأنَّ سيرل كان واعيًا بالنقائص التي اكتنفت تصنيف أوستين "وأهمها جميعًا في رأيه أنها لم تَقُم على أساس واضح أو متين، أو على مجموعة من الأُسس، ولم يَسلَم منها فيما يرى إلَّا صنفٌ واحدٌ هو التعهديَّات؛ فقد صنَّفه أوستين على أساس منهجي واضح هو الغرض الإنجازي"(١٢)؛ لأجْل ذلك قدَّم سيرل تصنيفًا جديدًا للأفعال الكلاميّة بديلًا لما قدَّمه أوستين يقوم على ثلاثة أُسس منهجيَّة هي:

١-الغرض الإنجازي illocutoinary point، ويتعلَّق هذا الشرط بالدور الخاص للفعل الإنجازي المعيَّن، فالغرض الإنجازي للأمر مثلًا هو محاولة التأثير في المخاطَب لفعل شيءٍ ما.
٢-اتجاه المطابقة direction of fit "فاتجاه المطابقة في بعض الأفعال الإنجازيَّة من الكلمات إلى العالم كالإخباريات، وهو في بعضها من العالم إلى الكلمات كالوعد والرجاء.
٣-شرط الإخلاص sincerity condition "يجب أن تتطابقَ مقاصدُ المتكلِّمين وآراؤهم معَ ما يقولون، فحين يُصدَر أمرٌ؛ فإنَّ الآمِر يجب أن يكون مقتنعًا بأنَّ السامعَ قادرٌ على أداء الأمر، وحين نُعطي وعدًا يجب أن يكون لدينا القصدُ لإتمام الفعل الذي وعد به أيضًا، ويكون لدينا كذلك الظنُّ بأننا قادرون على أداء الفعل"[١٣].
وقد جعلها خمسة أصناف أيضًا[١٤]:
١-الإخباريَّات (الأفعال الكلاميَّة الدالَّة على التقرير والتأكيد)،
٢-الطلبيَّات/ التوجيهيَّات (الأفعال الكلاميَّة الدالَّة على الطلب): هي أنواع أفعال الكلام تلك التي يستعملها المتكلِّمون ليجعلوا شخصًا آخرَ يقوم بشيءٍ ما، وهي تُعبر عمَّا يُريده
٣-الوعديَّات/ التعهديَّات (الأفعال الكلاميَّة الدالَّة على التعهد والالتزام): هي أنواع أفعال الكلام تلك التي يستعملها المتكلِّمون ليُلزموا أنفسهم بفعل مستقبلي؛ لأنها تُعبر عمَّا يَنْويه المتكلِّم.
٤-التعبيريَّات/ الإفصاحيَّات (الأفعال الكلاميَّة الدالَّة على الإفصاح والتعبير): هي أنواع أفعال الكلام تلك التي تُبيِّن ما يشعُر به المتكلِّم، فهي تُعبِّر عن حالات نفسيَّة، ويُمكن لها أن تتخذ شكلَ جُمل تُعبر عن سرور، أو ألم، أو فرح، أو حزن، أو عمَّا هو محبوب أو ممقوت.
٥-التصريحيَّات/ الإعلانات (الأفعال الكلاميَّة الدالَّة على التصريح والإعلان): هي أنواع أفعال الكلام تلك التي تُغير الحالة عبرَ لفظها، ويتوجَّب على المتكلِّم تسنُّم دور مؤسَّساتي في سياق معيَّن لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة.
وبهذه التعديلات يكون سيرل قد خطَا بنظريَّة الأفعال الكلاميَّة خطوات عملاقة، إذْ وسَّع من مفاهيمها، وشرح أبعادها، ورتَقَ بعضَ الاختلالات الموروثة من عهد مؤسِّسها الأول أوستين، وبذا يكون قد فتح أبوابًا من المعالجة اللسانيَّة لم تكن معهودة من قبلُ، ومهَّد بذلك الطريق واسعًا لعلماء أسهموا كلٌّ من منظوره في إثراء الدرس التداوُلي الحديث[١٥].
والفعل الكلامي عند سيرل لا يقتصر على مراد المتكلِّم كما هو عند أوستن، بل هو مرتبطٌ بالعُرف اللغوي والاجتماعي، ففي الوقت الذي يؤكد فيه أوستن على مقاصد المتكلِّم، يهتمُّ سيرل بتفسير المخاطَب "والواقع أن فضل مقترَح سيرل يعود إلى وضوح الصياغة، وابراز مقتضيات العمل اللغوي من علاقات تخاطُب واعتقاد يصدُر عنه المتكلِّم، وقصد تُحدِّده القاعدة الأساسيَّة، وهذه المعطيات ضروريَّة في كل تعريف لهذا العمل اللغوي أو ذاك"[١٦].

ثانيًا- أهميَّة الأفعال الكلاميَّة في البحث التداوُلي:

تُعَدُّ دراسة ما يفعله المتكلمون باللغة من إنجاز وتأثير من أهم مجالات الدراسة التداوُليَّة. وتتجلَّى قيمة الأفعال الكلاميَّة في اهتمامها بالبُعد العملي للغة، وربطها بينَ القول والفعل؛ فهي تربط الملفوظات بالمواقف التي تُستعمَل فيها؛ ولذا فإنَّ ظهور نظريَّة أفعال الكلام يُعتبَر ثورة على عدَّة مستويات، فعلى مستوى الفلسفة تُعَدُّ النظريَّة ضربةً للفلسفة الوضعيَّة، وعلى مستوى علم اللغة تُعَدُّ تحديًا لنظريَّة "تشومسكي" في النحو التحويلي؛ فإنَّ نظريَّتَه تُعالج الكفاءة وليس الأداء، فهي بذلك قاصرة وضيقة[١٧] عن نظريَّة الأفعال الكلاميَّة التي أعادت الاعتبار للكلام والأداء، وصارت "تستأثر باهتمام الباحثين في جوانب النظريَّة العامَّة لاستعمال اللغة، فعلماء النفس يرون اكتسابها شرطًا أساسيًّا لاكتساب اللغة كلها، ونقَّاد الأدب يرون فيها إضاءة لما تَحمله النصوص من فروق دقيقة في استعمال اللغة، وما تُحدثه من تأثير في المتلقِّي، والأنثروبولوجيون يأمُلون أن يجدوا فيها تفسيرًا للطقوس والرُّقى السحريَّة، والفلاسفة يرون فيها مجالًا خصبًا لدراسة علاقة اللغة بالعالَم، واللغويون يجدون فيها حلولًا لكثير من مشكلات الدلالة والتراكيب، وتعليم اللغة الثانية، أما في الدرس التداوُلي فإنَّ الأفعال الكلاميَّة تظلُّ واحدًا من أهم المجالات فيه؛ إن لم يكن أهمها جميعًا"[١٨]؛ فقد حوَّلت المعاني من مستوى التلقِّي إلى مستوى الإنجاز، ومكَّنت المتكلِّم من تحويل أفكاره إلى كلامٍ مفيدٍ يتجاوز التواصُل اللساني العادي إلى مستوى التفاعل الاجتماعي، ولفتت

انتباهَه إلى أنَّ اللغة ليست للإخبار، أو وصف العالَم فقط، بل تؤدي وظيفة التأثير في الآخرين في سياقاتٍ معيَّنةٍ عبرَ ما يُعرَف بصيغ العقود أو الصيغ الإنشائيَّة.

ويُمكن القول بأن: "نظريَّة أفعال اللغة تُعَدُّ دراسة نسقيَّة للعلاقة بينَ العلامات ومُؤَوليها"[١٩].

وللأفعال الكلاميَّة مكانةٌ رئيسةٌ، ودورٌ فاعلٌ ومهمٌّ في الخطابات بشكلٍ عامٍّ، وفي الخطاب النبوي بصفةٍ خاصَّةً؛ نظرًا لطبيعته الإنجازيَّة ومهمَّته التواصُليَّة والتبليغيَّة؛ حيث أرسل الله -عزَّ وجلَّ- رُسُلَه كلًّا بلسان قومه ليُبينَ لهم، ويُبلغَهم رسالةَ ربهم؛ فالخطاب النبوي يصدُر عن تكليفٍ بالقول، كما دلَّ عليه قوله -تعالى-: سمحوَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤سجى [النجم: ٣-٤]، وقوله: سمح فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ سجى [الحجر: ٩٤].

إنَّ غاية الخطاب النبوي هي التبليغ وتمكين الحقائق الشرعيَّة في نفوس المخاطَبين، قصد إسعادهم في الدنيا والآخرة؛ فهو أثرى الخطابات مادةً لدراسة الأفعال الكلاميَّة، والبحث في الفعل الإنجازي في ذلك الخطاب هو بحثٌ في وظيفته التأثيريَّة في المتلقّي من الناحية النفسيَّة والعقليَّة والاجتماعيَّة.

ثالثًا- مفهوم التأدُّب:

أوْلى التداوُليون التفاعُل الحاصل بينَ أطراف الخطاب في الموقف التواصُلي عنايةً كُبرى ضمنَ جملةٍ من المعايير والقواعد التي ينبغي أن يلتزم بها المتكلِّم في أثناء حديثه معَ غيره، ومنها ما يُعرَف بـ (مبدأ التأدُّب) بوصفه معيارًا تواصُليًّا ذا بُعدٍ أخلاقي يفرِض على المتحدِّثين أن يحترم بعضُهم بعضًا في الكلام.

ويُعَدُّ التأدُّب في أساسه كفاءة لغويَّة أخلاقيَّة تكشف عن قصديَّة المتكلِّم، وتُقوِّي وشائج الترابُط بينَ الأفراد المتخاطبين، وتخفِّف من حِدَّة الاختلاف بينهم، وتُعطي المتكلِّمَ القدرةَ على التفاعُل معَ مخاطبه في مختلف المواقف التواصُليَّة، بإنتاج الخطاب المناسب الذي من شأنه إنجاح هذا التواصُل.

ويُمكن أن نُعرِّف مبدأ التأدُّب بأنَّه "مجموعةٌ من الطرائق المتعارَف عليها داخلَ جماعة لغويَّة يتمثَّل دورُها في الحفاظ على قدرٍ من الانسجام أثناء التفاعُل بينَ المتكلمين رغمَ ما يترتَّب على كل لقاء واحتكاك من أخطار"[٢٠]، ففي كل جماعة لغويَّة هناك عباراتٌ للشكر، وصيغٌ للاعتذار، وأساليبُ معيَّنةٌ للطلب تُحافظ على صحَّة العلاقات الإنسانيَّة واتِّزانها؛ ولذا يُعَدُّ التأدُّب من المبادئ التواصُليَّة التي تحكمها الأعراف والقوانين الاجتماعيَّة، ففي كل الثقافات توجَد ضوابط للحديث المؤدَّب؛ حيث "تعمُّ ظاهرةُ التأدُّب جميعَ الثقافات واللغات؛ ولكنَّ التعبير عنها يتَّخِذ طرقًا شتَّى؛ مما أوحى إلى بعضهم أنَّ تعلُّم التأدُّب وثيق العُرى باكتساب اللغة الأُم"[٢١]، وهذا يعني اختلاف معايير التأدُّب في استعمال اللغة بحسب الثقافة والبيئة والخلفيَّة التاريخيَّة والاجتماعيَّة والعقديَّة للمتكلِّمين بها، وفيه كذلك إبرازٌ لأهميَّة الجانب الاجتماعي في دراسة اللغة، والكشف عن أسرارها المتصلة بحياة الناس، وما يكونون عليه من حشمةٍ وأدبٍ ومراعاةٍ للقيم الاجتماعيَّة، والآثار النفسيَّة لاستخدام هذه اللغة بينَ أفراد المجتمع.

وعن مفهوم "التأدُّب" يقول هشام الخليفة في مقدمة ترجمته كتاب براون ولفنسن:

والتأدُّب المراد هنا هو "التأدُّب اللغوي linguistic Politeness وهو يعني الطرائق التي تُستخدَم بها اللغةُ في التحاوُر لبيان الاهتمام بمشاعر المحاورين الآخَرين ورَغَباتهم؛ وذلك بهدف إنشاء علاقاتٍ بَيْنشخصيَّةٍ وتقويتها، والامتثال لقواعد السلوك المناسبة في المجتمع أو الثقافة المعيَّنين"[٢٢]، وأخيرًا "مبدأ التأدُّب مبدأ اجتماعي أخلاقي قبل أن يكون نمطًا لغويًّا محدَّدًا؛ فقد تَستعمل بيئةٌ لغويَّةٌ أسلوبًا تخاطبيًّا لا تستعمله بيئةٌ أُخرى معَ وَحدة الظرف بينَهما"[٢٣]؛ لأن السياق التداوُلي هو المتحكِّم في ضوابط اختيار الاستراتيجية المناسبة في الخطاب، فما يكون مؤدَّبًا في سياق قد يكون غير مؤدَّب في سياق آخَر، كما يحمل هذا المبدأ بُعدًا دينيًّا واضحًا؛ فديننا الحنيفُ يحثُّنا دائمًا على الرحمة والرفق، والتأدُّب في الخطاب من مظاهر ذلك الرفق.

وعليه؛ ستكون مهمَّة هذا البحث في جانبها الإجرائيّ استخراج الأفعال الكلاميَّة عند سيرل، وبيان أثرها في تحقيق مقاصد الخطاب النبوي الموجَّه للطفل، وعلاقة ذلك بمبدأ التأدُّب؛ للكشف عن

عظمة استجابة الخطاب النبوي لمطالب الطفل في ميدان التواصُل الفعَّال.

المطلب الثاني: الأفعال الكلامية عند سيرل ونماذجها في الخطاب النبوي الموجه للطفل:

سيقوم التحليل في هذه المدونة مستندًا إلى تصنيف "سيرل"؛ لكونه أكثرَ شمولًا، وأفضلَ في التحليل التداوُلي للنصوص؛ لتناوله الجانب الوظيفي والشكلي للفعل الكلامي.

وبالعودة إلى المدوَّنة ومحاولة استنطاقها يُمكننا الوقوف على جملة الأفعال اللغويَّة، والتي صُنِّفَت حسب توفرها في الخطاب النبوي كالآتي:

١-**التصريحيَّات (الإعلانات):** (الأفعال الكلاميَّة الدالَّة على التصريح والإعلان): هي أفعال تُحدِث تغييرًا في الوضع القائم؛ أي تحقِّق إنجازًا حقيقيًّا، وتقتضي عادةً أعرافًا غير لغويَّة لإنجازها ومنها: الشكر، والقسم، والدعاء، ويتوجَّب على المتكلِّم تسنُّم دور مؤسَّساتي في سياق معيَّن لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة، والسمة المميِّزة لها أنَّ أداءها الناجح يتمثَّل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا أدَّيت فعل إعلان الحرب أداءً ناجحًا فالحربُ معلَنة، واتِّجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط إخلاص(٢٤).

ومن نماذجها في الخطاب النبوي الموجه للطفل:

•**عَنِ الحَسَنِ، سَمِعَ أَبَا بَكْرَةَ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ(٢٥)".**

ينتمي هذا القول إلى طائفة الأفعال الكلاميَّة التصريحيَّة "الإعلانات"، والإعلان هنا فعلٌ كلاميٌّ مباشرٌ دلَّت عليه قوَّة إنجازيَّة حرفيَّة تمثَّلت في الجملة التقريريَّة "إنَّ ابني هذا سيِّدٌ"، فالرسول ﷺ هو الذات المحوريَّة التي تُنتج هذا الخطاب، وهو يُصرِّح بموقفه من هذا الصغير الذي يقف بجانبه على المنبر، فينعتُه بابنه، ويُعلن أنَّه سيدٌ مُشيرًا إليه، وقد تدعَّمت القوَّة الإنجازيَّة باستخدام العنصر الإشاري (هذا) إشارةً إلى محسوسٍ مشاهَد حاضر في المقام (إحالة مقاميَّة)، فانتقل بذهن المتلقِّي من داخل النصِّ إلى خارجه؛ حيث الحسن بن علي يقفُ بجانب النبي ﷺ على المنبر، فالإشارة هنا مُبهَمة، كشَفَ عنها السياقُ الذي وردت فيه، فهي تُحيل على الحسن بن عليٍّ -رضي الله عنهما- لغرض بيان فضيلته ومناقبه، ويستلزم أن يكون النبيُّ قد رأى فيه من علامات النبوغ والتميُّز ما جعَلَه يتوقَّع له السيادة في المستقبل. وبتأمُّل سياق هذا الحديث، والنبي ﷺ يقفُ على المنبر خطيبًا، وأمامه جمهورٌ من الصحابة يستمعون إليه، وهم يرونه يُقبِل عليهم ببصره مرةً، ويُقبِل على الصغير الذي يقفُ بجانبه مرةً أُخرى، سنُدرك كما أدرك هذا الجمهور عِظَمَ المنزلة التي سيتبوَّأها هذا الصغير، وهو ما أراد النبيُّ ﷺ إيصالَه لصحابته الكرام، بعبارةٍ موجَزة، مبتعدًا عن فضلِ الكلام وحشْوِه، مكتفيًا بالجملة الخبريَّة المؤكدة "إنَّ ابني هذا سيِّدٌ"، وهي جملة دلَّت صيغتها الخبريَّة على التقرير، وتحتوي على فعل كلامي متضمَّن في القول يَحمل غرضًا إنجازيًّا هو التعظيم، فلم يُسرِف في مدحه والثناء على صفاته، بل اكتفى بالإعلان أنَّ الحسن بن علي له منزلةُ السيادة في هذه الأمَّة.

وقد حقَّق هذا الخبرُ غرضَه باستناد المتكلِّم إلى موقع السُّلطة الذي يتمتَّع به، وهي سُلطة "وما ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحيٌ يوحَى"، فمثْلُ هذا القول لا يوصَف بأنه مجرَّد إخبار، بل هي نبوءةٌ وبشارةٌ من النبي ﷺ رسمت للطفل إطارًا للسلوك الإيجابي، وكانت دافعًا وموجِّهًا له للوصول إلى الهدف.

وقد تحقَّقت هذه البشارة فنال الحسنُ بنُ عليٍّ مكانةً عاليةً في هذه الأمَّة، وتحقَّق رجاءُ النبي الكريم ﷺ عندما قال: "لعلَّ اللهَ أن يُصلحَ به بينَ فئتَين عظيمتَين من المسلمين"، وهذا القول يستلزم أن تكون السيادةُ مقترنةً بالإصلاح بينَ المسلمين، والبُعد عن الشقاق والاختلاف، فهو خطابٌ تبليغيٌّ يَحمل مقاصد نفعيَّة في سياقٍ معيَّنٍ؛ إذ إنَّ (لعلَّ) هنا تفيدُ التوقُّع وترجِّي المحبوب، وهو توقُّع الممكن الذي لا وثوقَ بحصوله، وفي جانب الرسول (من) تفيدُ الحاصل بالفعل.

وأما عمل التأثير بالقول؛ فقد وقع هذا الخطاب النبوي في نفْس الحسن بن عليٍّ -رضي الله عنه- وقد تلقَّاه في طفولته، وسمعه من رسول الله ﷺ وهو إلى جانبه وفوقَ منبره، على مسمَعٍ

ومَرْأى الصحابة الكرام، فكان دافعًا قويًّا لاتِّجاهاته وتصرُّفاته في المستقبل، حتى حقَّق رجاء النبي ﷺ، فكان منه التنازُلُ عن الإمارة لمعاوية، والصلح بينَ المسلمين.

• **عن أنس بن مالك ﷺ: كنتُ أخدُمُ رسولَ اللهِ ﷺ، فكنتُ أدخُلُ عليه بغيرِ إذْنٍ، فجئتُ ذاتَ يوم، فدخلتُ عليه، فقال: "يا بُنيَّ، إنَّه قد حَدَثَ أمرٌ، فلا تدخُلْ عليَّ إلَّا بإذْنٍ"**(٢٦).

بدأ الخطاب السابق كما هي عادة النبي ﷺ بأسلوب النداء الذي يستميل قلبَ الطفل، ويُظهر القربَ منه، وتوطيد العلاقة معه، مما يجعله يتنبَّه لما سيأتي من خبرٍ مؤكَّد، وهو قوله: "إنَّه قد حدَثَ أمرٌ"، وهذا إعلانٌ بنزول الوحي بأمرٍ جديدٍ لا يعلَم عنه أنس بن مالك -رضي الله عنه- وقد ترتَّب عليه عملٌ، وهو وجوب الاستئذان قبل الدخول إلى بيت النبي ﷺ؛ وذلك بعد ما نزلت آية الحجاب، ويُعَدُّ هذا الفعل الإنجازي من قبيل أفعال القرارات كما يُطلق عليها أوستين، يأتي بعده التوجيه بأسلوب النهي: "فلا تدخلْ عليَّ إلَّا بإذْنٍ"، لقد صار دخول أنس بن مالك حُجُرات النبي ﷺ بعد هذا القرار ممنوعًا إلَّا أنْ يؤذَنَ له بالدخول.

٢- **التوجيهات (الطلبيَّات)**: (الأفعال الكلاميَّة الدالَّة على الطلب): هي أنواع أفعال الكلام تلك التي يستعملها المتكلِّمون ليجعلوا شخصًا آخرَ يقوم بشيءٍ ما، وهي تُعبر عمَّا يُريده المتكلِّم، وتتخذ أشكالَ أوامرَ وتعليماتٍ وطلباتٍ ونواهٍ ومقترَحاتٍ، ويُمكن لها أن تكون إيجابيَّة أو سلبيَّة، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثَّل في الرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها هو أن يفعل المستمعُ فعلًا ما في المستقبل، وتنضوي تحتَها جميع صور الطلب من الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني، ويدخل في هذا الصنف النصحُ والاستعطافُ، والتشجيعُ(٢٧).

وقد تُنجَز هذه الأفعال من خلال الفعل المعجمي الدال صراحةً على الغرض الإنجازي مثل: آمرُك، أطلُب، أنهاك، أمنعُك...، وقد تُنجَز من خلال فِعل غير مباشر قوَّته الإنجازيَّة مستلزمة مقاميًّا، فالأمر قد يصبح دعاءً، أو تهديدًا، أو تحدِّيًا، والاستفهام قد يصبح تقريرًا، أو إنكارًا في بعض المقامات التخاطبيَّة.

وعند رصد هذا النمط من الأفعال المنجَزة في الخطاب النبوي نجد حضورًا مُهيمنًا وملفتًا للتراكيب الطلبيَّة المتمثِّلة في الأمر والنهي بالدرجة الأولى؛ وذلك مرتبطٌ بالوظيفة التبليغيَّة؛ فتبليغ رسالة الله هي الوظيفة الأساسيَّة والبارزة في خطاب النبي ﷺ فهو يحثُّ على الخير ويرغِّبُ فيه، وينهى عن الشرِّ ويحذِّرُ منه، "والترغيب والترهيب في الحديث النبوي ثنائيَّة ذات منحًى تهذيبيٍّ، فهي أداةٌ تبليغيَّةٌ هَامَّةٌ؛ لما لها من أثر في النفْس البشريَّة، ولامتلاكها قوَّة تأثيريَّة إقناعيَّة قِوامُها ما يحمِله الخطاب النبوي في ألفاظه، وأخباره، وأحكامه من بيِّنة وحُجَّة وبرهان، والإنسان يسمو بطبعه وأخلاقه إذا وجد مَن يُقرِّبه إلى الخير، ويُنفِّره من الشر"(٢٨).

والتوجيهات هي أكثر أنواع الأفعال الكلاميَّة ورودًا في الخطاب النبوي الموجَّه إلى الطفل، بحيث يُشكِّل ذلك سمةً بارزةً فيه، من أمثلتها:

• **حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، قَالَ الوَلِيدُ بْنُ كَثِيرٍ: أَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبَ بْنَ كَيْسَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ، يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ**(٢٩).

يلاحَظ في سياق الخطاب: الصحابي الجليل عمر بن أبي سلمة، ربيب النبي ﷺ والذي نشأ في حِجْره، وتحت رعايته، يتناول الطعامَ معه، وهو طفلٌ تطيشُ يدُه في جوانب الإناء، فيتوجَّه إليه النبيُّ المعلِّمُ والمربِّي برفقٍ وحِلمٍ منجزًا عددًا من الأعمال اللغويَّة، تظهر كالآتي:

- النداء: يُعَدُّ النداء من الأفعال الكلاميَّة التوجيهيَّة، ومدخلًا للأفعال الكلاميَّة الأخرى التي تكون هي المقصودة؛ وذلك لأنه يحفِّز المتلقِّي لردِّ فِعل المتكلِّم، ويأتي النداء دائمًا لتنبيه المنادى، ودعوته للإقبال على الداعي له، ولكنَّه في الخطاب التداوُلي دائمًا ما يحمِل دلالات أخرى مصاحِبة لذلك تكون هي مضمون النداء، والهدف من الخطاب كالأمر، والنهي، والإنكار، وغيرها من المقاصد.

وقد استفتح النبيُّ ﷺ حوارَه معَ الطفل الذي بينَ يديه، ويأكل معه بندائه قائلًا: "يا غلامُ"(٣٠) ليشُدَّ

انتباهه إليه، وهو نداءٌ يَحمِلُ معاني التودُّد والتحبُّب لهذا الصغير، مما يُشعِره بالراحة والطمأنينة، تهيئةً له للاستماع إلى الخطاب الذي سيوجَّه إليه، ومن ثَمَّ تقبُّله لما فيه من توجيهات، وفي هذا حُسنُ خُلُق النبي ﷺ، فهو لم يزجُر الغلام حين صدر منه هذا السلوك الخاطئ، ولكنَّه ناداه برفقٍ (يا غلامُ)، ثم شرع في إرشاده، وتعليمه آداب تناوُل الطعام.

– الأمر: وهو فعل كلامي مباشر، دلَّت عليه قوَّة إنجازيَّة حرفيَّة تمثَّلت في أفعال الأمر الصريحة: "سَمِّ، كُلْ"، فاتَّسمَ هذا التوجيه النبوي بالوضوح في التعبير عن قصد المرسِل، فهو لا يَحتمل أكثر من تأويل، بل يستعمل أفعالًا لغويَّةً مباشرةً، والمعنى الإنجازي في هذا الطلب هو النصح والإرشاد، كما يستلزمه سياقُ الحديث، فالنبي ﷺ ينصحُ ويرشدُ الصغير الذي تربَّى في كَنَفه إلى آداب الطعام، وهذا خطابٌ لعموم المسلمين يَحملُ وظيفةً تشريعيَّةً دينيَّةً، تتضمَّنُ الأمر بالأكل باليمين، والتسمية قبلَ البدء بالأكل، وأن يأكل المرءُ مما يليه، وقد أوجز النبيُّ في هذه النصيحة محقِّقًا مبادئ التبليغ من جهة اقتصار الخطاب على قدر الحاجة، واستخدمَ عباراتٍ سهلةً قصيرةً، في لغةٍ مسترسلةٍ تصل إلى عقل الطفل دون مشقَّة. معَ المبادرة بهذه النصيحة وقتَ وقوع الخطأ من الطفل، وهذا أدْعَى إلى رسوخها في نفْسِه، واستدعائه لها كلَّما قُدِّم له الطعامُ.

أمَّا عمل التأثير بالقول، وهو النتيجة المترتِّبة على عمل القول، فيتلخَّص في قوله: "فما زالت تلك طِعمتي بعدُ"، يأتي هذا السلوك من المتلقِّي دليلًا على القوَّة الإنجازيَّة للقول في ظلِّ هذه الملابسات السياقيَّة، ودليلًا على نجاح المتكلِّم في حمل المخاطَب على الامتثال لمطالبه؛ فقد استجاب الصحابي عمر بن أبي سلمة لأمر النبي ﷺ، ودليلُ ذلك تطبيقُه لهذه التوجيهات، والتزامه بها بقيَّةَ حياته، فها هو يروي سياق الحادثة بتفاصيلها الدقيقة بعدما كبِرَ، وقد جرت أحداثُها عندما كان غلامًا في حَجْر الرسول ﷺ، كما عبَّر عن ذلك في الرواية، وهو ما يدلُّ على الأثر الكبير للخطاب النبوي في نفْس متلقِّيه، وأنَّ خطاب النبي ﷺ أداة عمل وتأثير؛ فقد أحدث تغييرًا طويلَ المدى في سلوكيَّات هذا الطفل، لازَمَه طوالَ حياته، كما يمتلك آليَّات التواصُل والتبليغ التي تجعل منه منهجًا للتربية والتعليم، فالمستقبِل لخطاب النبي هنا ليس هو عمر بن أبي سلمة فقط، بل هو توجيهٌ لعموم المسلمين في الزمن الواقع (زمن النبي ﷺ)، والزمن الافتراضي، أو الزمن المستقبلي البعيد؛ أي أنَّ هناك غرضًا تعليميًّا آخر يتمثَّل في أن تكون هذه الطريقة في الأكل سلوكًا عامًّا بينَ المسلمين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

ومن التوجيهات النبويَّة:

• **حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدٍ (وَهُوَ ابْنُ زِيَادٍ)، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): كِخْ كِخْ، ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟**[٣١].

السياق الذي جرى فيه الخطابُ: الحسن بن عليٍّ يأخُذ من التمر الذي اجتمع عند النبي ﷺ من الزكاة، ويهمُّ بأكْل واحدةٍ، بل لقد أدخَلَها في فيه، فيُباشره النبيُّ ﷺ بالتوجيه، الذي تضمَّن عددًا من الأفعال الكلاميَّة راعى فيها مقامَ الخطاب، وحالَ السامع، وأنماطَ الطلب، وتفصيلها كالآتي:

– الأمر: وقد عدَلَ في أول الخطاب عن الأمر الصريح إلى اسم الفعل؛ وذلك في قوله: "كِخْ، كِخْ"[٣٢]، فأمَرَه النبي ﷺ بلغةٍ يفهمُها حتى يُسارع إلى طرحها من فمه، والعمل المضمَّن في القول هو التحذير من أكْل التمرة، هذا التحذير دلَّت عليه طبيعةُ المتكلِّم الذي يملك السُّلطة، كما دلَّت عليه نبرةُ الكلام وطريقةُ أدائه، وقد كرَّر النبيُّ الكلمة ليستشعرَ الطفلُ المبالغةَ في التحذير، والإلحاح عليه، فيمتنع عن الفعل.

وهنا يتجلَّى مبدأ التأدُّب القائم على تخيُّر اللفظ الموجَز مراعيًا طفولة الحدَث، فالنبي ﷺ اختار اللفظ المناسب، وأتى به في موضعه، فلكلِّ مقامٍ قولٌ يُناسبُه، واستعمال هذه المفردة في سياق التحذير هو الأنسبُ بما تَحمِله من ثِقَل لفظي، وجرس صوتي، نبَّه الصغيرَ، وأوصَلَ له ذلك الترهيب الذي قصَدَه النبيُّ ﷺ.

ثم عقَّبَ بالأمر الصريح لتأكيد معناه: وذلك في قوله: "ارمِ بها"، وهو أمرٌ صريحٌ للطفل بإخراج التمرة من فمه، وهذه الإستراتيجيَّة الصريحة تُستخدَم عند التحذير من الخطر أو الرغبة في إنجاز

العمل بسرعة، والمعنى الذي تضمَّنه هذا الطلب: الإرشاد إلى حُرمة الأكل من الزكاة لأهل بيت النبي ﷺ؛ فالخطاب الموجَّه إلى الحسن بن عليٍّ –رضي الله عنهما– في الحديث هو خطابٌ لعموم السامعين من آل بيته الطاهر، فهو يُرشدهم إلى تجنُّب هذا الفعل، وفي هذا يقول ابن حجر: "وفي الحديث مخاطبةُ مَن لا يُميِّز لقصد إسماع مَن يُميِّز؛ لأنَّ الحسن إذ ذاك كان طفلًا"(٣٣).

– الاستفهام معَ النفي في قوله: "أما علمتَ أنَّا لا نأكُل الصدقة؟" والضمير في "أنَّا" يُحيل على النبي ﷺ وأهل بيته، والاستفهام هنا فعل كلامي مباشر دلَّت عليه القوَّة الإنجازيَّة الحرفيَّة: أما علمتَ؟ ويستلزم فعلًا كلاميًّا إنجازيًا غير مباشر، هو الإنكار معَ توبيخه على جهله بهذا الأمر المعلوم.

واستخدام الخطاب النبوي لأسلوب الاستفهام في هذا المقام يحمِل للطفل تعليلًا للنهي عن أكْل التمرة، "فلم يقتصر كلامُ النبي ﷺ على الزجر فقط، بل قام ببيان علَّة الزجر بقوله: (أما علمتَ أنَّا لا نأكلُ الصدقةَ)، وهي جملة تُقال في الشيء الواضح التحريم ونحوه، وإنْ لم يكن المخاطَبُ عالِمًا به؛ أي كيف خَفِيَ عليك معَ ظهور تحريمه، وربط الزجر بعلَّته يدعو إلى سرعة الاستجابة، ويحفظ للصغير كرامتَه، فلا يؤمَر أو يُزجَر بغير علَّة"(٣٤)، بل يصِل به إلى القناعة الذاتيَّة، وفي الوقت ذاته يحمِل نهيُ النبي للحسن بن عليٍّ عن أكْل التمرة رسالةً لعموم السامعين، بأنَّ النبيَّ وآلَه لا يأكلون الصدقة، مراعيًا التأدُّب في عدم التوجيه المباشر لعموم السامعين في هذه القضيَّة، وتطبيقًا عمليًّا لعدم قبول الخطأ، أو التهاون فيه مهما صغُر حجمُه، أو وقع من صغير، ولنا في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنةٌ في حُسن التربية والتوجيه.

لقد كان الخطاب النبوي في هذا الحديث حازمًا معَ الطفل، استخدم فيه النبيُّ أسلوبَ القوَّة والشدَّة، وابتعد عن اللين واللُّطف؛ لأنه متعلِّق بأمرٍ شرعيٍّ لا يُتهاوَن فيه، وفي الوقت ذاته امتنع النبيُّ عن إيراد القول المهدِّد، ولم يواجِه الطفلَ بأسلوب التهديد والوعيد؛ لما قد يُسبِّبه من آثارٍ نفسيَّةٍ سيئةٍ على الطفل، وإحداثِ جفاءٍ بينَهما، بل استعان بصيغة السؤال ليُحرِّك في الطفل انتباهَه وفطنتَه، ويستدرجه ليُدرِك بنفْسه ذلك المعنى، وليعرف القصدَ من التحذير، معَ الحفاظ على ماء وجه الطفل والمستمعين، وهذا من مبادئ التأدُّب التي اقترحتها "لايْكُوف"، والتي سبق إليها رسولُنا الكريمُ ﷺ قبل أكثر من ١٤٠٠ عامٍ، وتجدُر الإشارة إلى أنَّ "هناك فرقًا بينَ المباشرة والتصريح، فالتصريح فيه تهديدٌ وإراقةٌ لماء وجه السامع دون تخفيف، أما المباشرة –بوصفها من إستراتيجيَّات التأدُّب السلبي– حسبَ "براون وليفنسن" فيُخفِّف التهديد فيها بعدم إلحاق الأذى بالسامع، أو إراقة ماء وجهه، ويكون ذلك باستخدام ألفاظ توحي بالاحترام، وبالمحافظة على المسافة الاجتماعيَّة بينَ المتخاطبين"(٣٥).

ومن مراعاة النبي ﷺ لنفْس الطفل ومشاعره:

• **عن أنس بن مالك قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يدخُلُ علينا، ولي أخٌ صغيرٌ يُكنَّى أبا عُمَير، وكان له نُغَرٌ يلعبُ به، فماتَ، فدخَلَ عليه النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ، فرآه حزينًا فقال: ما شأنُه؟ قالوا: ماتَ نُغَرُه، فقال: يا أبا عُمَير، ما فعَلَ النُّغَيرُ؟**(٣٦).

سياق الخطاب: الرسولُ ﷺ يدخُل بيتَ أنس بن مالك على عادته في مخالطته إيَّاهم، فيرى أخاه الصغير حزينًا على غير عادته، ويجري في هذا الحديث سياقان تواصُليَّان.

السياق التواصُلي الأول:

استدلَّ النبيُّ ﷺ بالحزن الظاهر في وجه الطفل على الحزن الكامن في قلبه مما حدَا به إلى السؤال عن شأنه، وطرفَا الخطاب في هذا السياق هما النبيُّ ﷺ وأهلُ الصغير، وقد أنجز النبيُّ في خطابه الأول عملًا لغويًّا مباشرًا هو الاستفهام، دلَّت عليه القوَّة الإنجازيَّة الحرفيَّة "ما شأنه؟" ويتضمَّن فعلًا كلاميًّا غير مباشر دلَّت عليه قوَّة إنجازيَّة مستلزمة مقاميًّا هي التعجب، ويفيد المحتوى القضوي السؤال عن سبب حزن الصغير، فهو استفهامٌ حقيقيٌّ يستخبرُ به النبيُّ عن سبب حزن الصغير، ليأتيه الجوابُ الصريحُ منهم: مات نُغَرُه.

وهنا ننتقلُ إلى سياقٍ تواصلي آخر، طرَفَاه النبيُّ ﷺ وأبو عُمير، ذلك الطفل المكلوم بفَقْد صديقه الطائر، وقد أنجز فيه النبيُّ ﷺ ثلاثة أعمال لغويَّة توجيهيَّة هي:

– النداء في قوله: "يا أبا عُمير"، ويتعدَّى الغرض من النداء هنا لفت الانتباه ليحقِّقَ أغراضًا أُخرى تُفهَم من السياق؛ فالمصطفى ﷺ نادى الصغير ليشعر بقربه ومودَّته. وقد استخدم النبيُّ ﷺ كنيةً مشهورةً لهذا الصغير، اعتاد أن يُناديه بها عندما يراه، معَ كون النبي ﷺ أعلى مرتبةً –ولا شكَّ– من هذا الطفل، وهنا يظهر مبدأ التأدُّب من خلال قاعدة التودُّد عند "لايكوف" التي تجعَل المتكلِّم يعامل المخاطَب معاملة الند للند إذا كان في مرتبةٍ أعلى من المستمع، أو في مرتبةٍ مساويةٍ لمرتبته، وفي هذا يقول طه عبد الرحمن: "ومتى قام المتكلِّم بشرط المعاملة بالمثل، مستعملًا لذلك الأدوات والأساليب والصيغ التي تُقوِّي علاقات التضامن والصداقة بينهما نحو ضمير المخاطَب، والاسم، والكنية، واللقب، أَنِسَ به المخاطَبُ أُنسًا، واطمأنَّ اطمئنانًا إلى ما يُبديه له المتكلِّمُ من ثقة وعناية"[٣٧].

وقد جاءت هذه الكُنية بأسلوب التصغير الذي يُضفي على النداء مزيدًا من الملاطفة والتودُّد.

– الاستفهام في قوله: "ما فعَلَ النُّغَيْر؟" ولا شكَّ أنه استفهامٌ مجازيٌّ ليس الغرضُ منه طلبَ الفَهْم؛ لأنَّ النبي لا يريد منه جوابًا، فهو يعلَم عن موت الطائر سلَفًا، ولكنَّ هذا الاستفهام يحمِل أبعادًا تداوُليَّة، ويُنجز عدَّة أفعال كلاميَّة غير مباشرة في الآنِ نفْسِه، وهي التسلية، والملاطَفة، والمواساة، وإظهار الاهتمام والحزن، ومشاركة هذا الصغير في مُصابه، وهذه إحدى قواعد التأدُّب حسبَ "ليتش"، وتُعرَف بقاعدة التعاطُف، وفيها تظهر الوظيفة التفاعليَّة للغة، فالمتكلِّم يُحاول أن يبنيَ جسرًا من العلاقة بينه وبينَ المخاطَب للتعبير عن مقاصده تجاهَه، ويبدو هنا حرصُ النبي ﷺ على بناء العلاقات الاجتماعيَّة، فأيُّ أثرٍ عميق سيُحدثه سؤالُ النبي في نفْس ذلك الصغير؟! فرسول الله ﷺ يتفقَّدُه بنفْسه، ويسأل عن أحواله في تودُّدٍ ولينِ جانبٍ، وفي نوعٍ من الممازحة والملاطفة يجسِّدها استخدام التصغير معَ توظيف الإيقاع الصوتي المتمثِّل في السَّجع المتوازي؛ حيث نرصُد مقاطع صوتيَّة متناسقة، تمثِّل سجعًا قصيرًا: "يا أبا عُمير، ما فعَلَ النُّغَير"، فلا شكَّ أنَّ لهذا السياق اللغوي أثرٌ في تحريك عاطفة المتلقِّي قبل مخاطبة عقله، ولا سيَّما الطفل الذي يأنَسُ بالإيقاع والنَّغَم، مما يؤثِّر إيجابًا في تلقِّيه لهذا الخطاب.

ومن تقدير النبي ﷺ للطفل واحترام رأيه:

• حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي حَازِمِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: "أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟" فَقَالَ الغُلاَمُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ[٣٨] رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي يَدِهِ[٣٩].

سياق الخطاب: كان النبيُّ ﷺ في مجلسٍ يضمُّ الوُجهاء، وكبار السنِّ من الصحابة، ومعهم غلامٌ –قيل: إنه ابن عبَّاس رضي الله عنهما– فقُدِّم له شرابٌ، فشربَ منه ﷺ، ثم استأذن الصبيَّ الذي يجلس عن يمينه في أن يعطي فَضْل شرابه للأشياخ –لأنَّ الأيمن هو الأحقُّ بالبَدْء– فأبى الطفل أن يتنازل عن حقه في الشرب أولًا، وعلَّل ذلك بأنه لا يؤثِر أحدًا بنصيبه من بركة النبي ﷺ التي تحلُّ في فضل شرابه.

وفي السياق التواصُلي للنبي ﷺ معَ الطفل أنجزَ فعلًا كلاميًّا يحمِلُ أبعادًا تداوُليَّة مهمَّة وهو الاستفهام: "أتأذَنُ لي أن أعطيَ هؤلاء؟" والاستفهام هنا فعل كلامي مباشر دلَّت عليه القوَّة الإنجازيَّة الحرفيَّة المتمثِّلة في همزة الاستفهام، ويقتضي فعلًا كلاميًّا غير مباشر هو الاستئذان من الصغير، وقد وظَّفه المتكلِّم لضمان تحقيق القوَّة الإنجازيَّة التي يريد، فالاستفهام أسلوب تربوي يحقِّق التفاعُل، ويمدُّ جسرًا للتواصُل بينَ السائل والمسؤول، وهذا من أدبه ﷺ، وحُسن عِشرته معَ أصحابه، فالنبيُّ لم يأمر الطفل بقولٍ مباشرٍ، فيكون تكليفًا لازمًا، وتتقلَّص حريتُه في الخطاب، ولكنَّه عدَلَ عن الطلب بصيغة الأمر إلى الطلب بصيغة الاستفهام، فكأنَّه يُخيِّره في الإجابة بينَ القبول والرفض، ويُفسح المجال لمخاطَبه، ويترُك له حريَّةَ التعبير عن رأيه، وهو ما عُرِف عند "لايكوف" بمبدأ التشكُّك أو التخيير، ويتوافَق معَ قاعدة اللباقة عند "ليتش"؛ حيث يمكن للمتكلِّم أن يُعبِّر عن قصده بجملة استفهاميَّة أكثر لباقةً تترُك للمخاطَب حريَّة الاختيار، وقد اختار الصغير هنا رفضَ التنازُل عن حقه، فاحترم النبيُّ ﷺ رأيَه ورغبتَه.

"فتلَّه الرسول في يده" يُخبر الراوي أنَّ النبي ﷺ استجاب لرغبة الصغير، واحترم رأيَه، وأعطاه حقَّه

في التقدير الاجتماعي؛ فقدَّمه في الشرب على الأشياخ.

لقد مثَّل الخطاب النبوي في السياق السابق درسًا تربويًّا للعلاقة بينَ الكبار والصغار، وما ينبغي أن تكون عليه من الاحترام والتشجيع، وعدم امتهان الطفل، أو التقليل من شأنه لصِغَر سِنه وعجزه عن الأخْذ بحقِّه، وهكذا تكون اللغة في المنظور التداوُلي ليست مجرَّد رموز تصف الوقائع، بل هي أفعال اجتماعيَّة مقصودة، منبثِقة عن الاستعمال، تحمِل قوَّة إنجازيَّة تكشِف عن أخلاق الذات المتكلِّمة في السياق الذي يجري فيه الكلامُ.

قال أنس: كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ مِن أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَذْهَبُ، وفي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِما أَمَرَنِي به نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حتَّى أَمُرَّ علَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ في السُّوقِ، فَإِذَا رَسولُ اللهِ ﷺ قدْ قَبَضَ بقَفَايَ مِن وَرَائِي، قالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهو يَضْحَكُ، فَقالَ: يا أُنَيْسُ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟ قالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يا رَسولَ اللَّهِ[٤٠].

قال النووي: "في هذا الحديث بيانُ كمال خُلُقه ﷺ، وحُسن عِشرته وحِلمه وصَفْحه"[٤١].

ولذا قدَّم أنس بن مالك لهذا الموقف بقوله: "كان رسولُ الله ﷺ من أحسن الناس خُلقًا"، فهو سيحكي لنا موقفًا أخلاقيًّا تربويًّا فيه درسٌ نبويٌ في التربية العمليَّة، والتعامل معَ أخطاء الطفل الطبيعيَّة التي قد يقع فيها، ويتجلَّى في ذلك الموقف صبرُه ﷺ وحلمُه بالصغير، وتحمُّله لأخطائه من غير زجرٍ أو توبيخ؛ وذلك حين قبض النبي بقفاه وهو يضحَكُ، والضحكُ هنا وسيلةٌ غيرُ لغويَّة حقَّقت عملًا، وكانَت لها قوَّة إنشائيَّة؛ إذ حملَت للطفل رسالةً تُبعِد عنه الخوف الذي يعقُب تلك القبضة، وتُشعره بالأمان قبل أن يتكلَّم النبي ﷺ، ثم لما استقرَّت نفسُ الصغير بدأهُ بأسلوب النداء الذي حمل من اللطف والتحبُّب ما ازداد الطفل به أمانًا؛ فهو لم يُنادِه بالخادم أو الغلام، بل ناداه باسمه مصغَّرًا (أُنَيْسُ)، وترخيم الاسم هنا تمليحًا وتلطفًا لا تحقيرًا، وهو من هَدْيه في المزاح والمداعَبة التي هي أسلوبٌ من أساليب التربية النبويَّة.

"أَذهبتَ حيث أمرتُك؟" استعمَل النبيُّ ﷺ بِنْيةَ الاستفهام (عمل لُغوي غير مباشر وغير مقصود) للدلالة على الأمر (عمل مباشر مقصود)؛ أي: اذهَبْ حيث أمرتُك؛ وذلك لأن النبي ﷺ يعلَم أنه لم يذهب؛ فهو يراه يلعَب معَ الصبيان! لكنَّ النبي ﷺ لم يُعاقبه على عدم ذَهابه ولم يوجِّه إليه الطلب مرةً أخرى بأسلوب أمر مباشر، لكنَّه آثَرَ أسلوب العتاب والتأنيب برفق عن طريق الاستفهام التقريري الذي يحمِل المخاطَبَ على الإقرار بمضمون الاستفهام، وهو ما فَهِمَه أنسٌ – رضي الله عنه– بدليل جوابه بنعم؛ أي أُقِرُّ بأنني لم أذهب، وأنا أذهب الآن.

وقد استخدم –رضي الله عنه– في جوابه الجملة الاسميَّة: (أنا أذهب) الدالَّة على الاستمراريَّة، وجعل خبرها الفعل المضارع (أذهب) الدال على الحال؛ ليجعل الحدَثَ كأنه واقعٌ الآن، ففيه تأكيدٌ للحدث، بخلاف لو قرَنَه بالسين أو سوف، فهو عندئذٍ يَعِد بتحقيق الطلب في المستقبل دون تأكيد الذَّهاب في الحال.

والاستفهام "عادةً ما يجيءُ طلبًا على سبيل التأدُّب، بما أنه يُخرج الأمر العام الواجب –وان بغير استعلاء– مخرجَ الإمكان، فيترُك للمخاطَب أن يختار وضعيَّتَين تخاطبيَّتَين ممكنَتَين: إما التعبير عن إيجاب الإرادة والإمكان، وإما سلبهما، ولا إلزامَ هنا إلَّا في الإجابة بحكم أن الغرضَ من الاستفهام حمْلٌ للمخاطَب على تقديم الجواب المطلوب"[٤٢]، كما يُعَدُّ استخدام الاستفهام في الحديث السابق تفعيلًا للحوار، وتعزيزًا للتواصل بينَ النبي ﷺ والطفل.

١–**التعبيريَّات** (الإفصاحيَّات): (الأفعال الكلاميَّة الدالة على الإفصاح والتعبير): وهي تلك الأفعال الكلاميَّة التي تُعبر عن المشاعر الإنسانيَّة والانفعالات، فهي تُعبِّر عن حالات نفسيَّة، ويُمكن لها أن تتخذ شكلَ جُمل تُعبر عن سرور، أو ألم، أو فرح، أو حزن، أو عمَّا هو محبوب أو ممقوت، وليس لهذا الصنف اتِّجاه مطابقة؛ إذ يكفي شرط الإخلاص، فالمتكلِّم لا يُحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابقًا للكلمات، ويدخل فيها الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والمواساة. وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفْسي حيالَ الواقعة التي تُعبِّر عنها القضيَّة، ومن ثَمَّ التأثير في المتلقِّي، وتوجيهه إلى فِعلِ عملٍ ما أو تركه، ويُشترَط صدقُ القضيَّة المعبَّر عنها، "وليس من اللازم أن تقتصر هذه الأفعال على ما هو خاصٌّ بالمتكلِّم من الأحداث، بل تتعدَّاها إلى ما يحدُث للمشاركين في الفعل، وتنعكس آثاره النفسيَّة والشعوريَّة على المتكلِّم"[٤٣].

ومن نماذجها في الخطاب النبوي الموجَّه للطفل:

• **يقول عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– كنتُ غلامًا شابًّا أعزبَ، وكنتُ أنامُ في المسجدِ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فرأيتُ في النومِ كأنَّ ملَكينِ أخَذَا بي، فذَهَبَا بي إلى النارِ، قال: فلقينا مَلَكٌ آخرُ، فقال لي: لم تُرَعْ. فقصصتُها على حفصةَ، فقصَّتْها حفصةُ على رسولِ اللهِ ﷺ فقال: "نِعمَ الرجلُ عبدُ اللهِ لو كان يُصلِّي من الليلِ"، فكان بعدُ لا ينامُ من الليلِ إلا قليلًا"**(٤٤).

لقد كان رسول الله ﷺ يشجِّع الصغار على الأفعال الحميدة، ويوجِّههم إلى الأخلاق الكريمة بطريقٍ مباشرٍ تارةً، وبطريقٍ غير مباشرٍ تارةً أُخرى، وفي الحديث السابق استخدم المصطفى ﷺ أسلوبَ المدح بقوله: "نِعمَ الرجلُ عبدُ اللهِ" في تزكيةٍ كبيرةٍ لعبد الله بن عمر –رضي الله عنه– جعلته يكبُر في عيون الصحابة –رضوان الله عليهم– بعدما وصفه النبي بالرجل رغمَ كونه غلامًا لم يبلُغ الحُلُم بعدُ، وفيه تحقَّقت قاعدة الاستحسان المتفرِّعة عن مبدأ التأدُّب الأقصى، والتي كان رسول الله ﷺ قُدوتنا فيها منذ ما يَزيد على ألفٍ وأربعمائة عامٍ. ومن صورها الإكثارُ من مدح الغير والإشادة به، والحديثُ بإيجابيَّة عن المستمع نوعٌ من تهنئته، وحثُّه على بذل المزيد.

"لو كان يُصلِّي من الليل" في هذه الجملة (لو) ليست للشرط، فلذلك لم يذكر الجواب، فخيريَّةُ عبد الله بن عمر ليست معلَّقة بقيام الليل، وإنما (لو) هنا للتمني كما يقول ابن حجر في الفتح(٤٥)؛ أي: لو كان يُصلي من الليل لارتفعت درجته في الخيريَّة، والغرضُ الإنجازيُّ لهذا الفعل التعبيري (المدح) هو التوجيهُ والحضُّ لجميع المسلمين على قيام الليل، وأنه من مراتب الكمال.

وأما عمل التأثير بالقول فقول الراوي: "فكان بعدُ لا ينام من الليل إلَّا قليلًا": إنها المبادرة إلى العمل بمقتضى وصيَّة الرسول ﷺ، ومجاهدة النفْس للاستمرار عليها؛ حيث غيَّرت كلمةٌ واحدةٌ عبَّرت عن سعادة الرسول ﷺ بهذا العمل –دون أمرٍ صريحٍ به– حياةَ هذا الشاب، وكانت كفيلةً بتحويل مسار حياته؛ لأنه سمعها من النبي ﷺ في مُقتبَل عُمره، فوجَدَتْ منه قلبًا منشرحًا، وأُذنًا مُصغيةً، وعقلًا مُدركًا، فَهِم مغزاها، فكان لها غاية التأثير لتجعله يُحافظ على هذا العمل الصالح، ويتمسَّك به طيلةَ حياته التي امتدَّت إلى قُرابة سنة ٧٣ من الهجرة.

•**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ القَاسِمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ: "مَنْ وَضَعَ هَذَا"، فَأُخْبِرَ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"**(٤٦).

في سياق الحديث السابق يروي ابن عبَّاس موقفًا تشرَّف فيه بخدمة النبي ﷺ؛ وذلك بأن وضعَ له الوضوءَ، فنال بصنيعه بركة دعاء النبي، وكانت له رفعة في الدنيا والآخرة.

وقد دُهِش النبيُّ الكريمُ للوهلةِ الأولى فسأل: مَن وضَعَ هذا؟ فأُخبِرَ أنَّه ابن عبَّاس، وكان طفلًا، فأُعجبَ النبيُّ بفعله، وقال: "اللهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّين".

لقد حوَّل النبي ﷺ باستعمال الفعل الكلامي فكرته عن هذا الطفل، وإعجابه بما صنع، ورغبته في مكافأته وتشجيعه إلى خطابٍ مفيدٍ ذي قوَّةٍ إنجازيَّةٍ فاعلةٍ، وتأثيرٍ إيجابيٍّ في المتلقِّي؛ وذلك بالدعاء له، فعبارة (اللهمَّ) فعل كلامي مباشر يفيدُ النداء، والغرض الإنجازي منه هو الدعاء لعبد الله بن عبَّاس بأن يعلِّمَه اللهُ الفقهَ في الدين، وكأنَّ النبيَّ تنبَّأ لهذا الصغير برجاحة العقل، وسداد الرأي، واكتشف موهبته ووجَّهه في ضوئها إلى الفقه والعلم، وقد كان لهذا الدعاء أثرٌ في نفس الطفل، فنشأ ذكيًّا فطِنًا محبًّا للعلم، مقبِلًا على الفقه، حتى لُقِّبَ بحَبر الأمَّة؛ لكثرة عِلمِه وفِقهِه في الدين.

ومثل ذلك:

•**حدَّثنا مُسَدَّدٌ، حدَّثنا عبدُ الوارثِ، عن خالدٍ، عن عِكرمةَ، عن ابن عبَّاسٍ قال: ضمَّني النبيُّ ﷺ إلى صدرِه، وقال: "اللهمَّ عَلِّمْهُ الحكمةَ"**(٤٧).

في سياق هذا الحديث يرسم ابن عبَّاس صورةً تجسِّد عاطفة النبي ﷺ مع الأطفال، ورحمته بهم، وشفقته وحنانه عليهم؛ فقد ضمَّه النبيُّ إلى صدره الشريف كالأب الحاني، وفي هذا المشهد اللطيف الذي يحمِل مشاعر الحبِّ والعطفِ، وفي مقام قُربه من النبي تلقَّى ابنُ عبَّاس دعاءه ﷺ بأن يعلِّمَه اللهُ الحكمةَ، "واختلف الشرَّاح في المراد بالحكمة هنا فقيل: القرآن كما تقدَّم، وقيل: العمل به، وقيل: السُّنة، وقيل: الإصابة في القول، وقيل: الخشية، وقيل: الفَهْم عن الله، وقيل:

العقل، وقيل: ما يشهد العقلُ بصحته، وقيل: نورٌ يُفرق به بينَ الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب معَ الإصابة...، والأقرب أنَّ المراد بها في حديث ابن عبَّاس الفَهْم في القرآن"[٤٨]، فكان –رضي الله عنه– حريصًا على طلب العلم، حتى صار من كبار علماء وفقهاء الصحابة، ومن أعلمهم بتفسير القرآن الكريم، بل لُقِّبَ بترجمان القرآن لإجادته في تفسيره وتوضيحه، "وفي هذا الباب إشارةٌ إلى أنَّ عِلمه الغزير، وفضيلته الكاملة ببركة دعاء النبي ﷺ، وفيه بيان استفادة ابن عبَّاس عِلم الكتاب من النبي ﷺ"[٤٩].

•حدَّثنا محمَّد بن الصبَّاح، ويعقوب بن حُمَيد بن كاسب، قالَا: حدَّثنا مُعْتمِرُ بن سُليمانَ، قال: سمعتُ ابنَ أبي الحكم الغفاري، قال: حدَّثتني جَدَّتي، عن عمِّ أبيها رافع بن عمرو الغفاري، قال: كنتُ وأنا غلامٌ أرمي نخلَنا –أو قال: نخلَ الأنصارِ– فأُتيَ بي النبيَّ ﷺ فقال: "يا غلامُ، وقال ابنُ كاسب: فقال: يا بُنيَّ، لمَ ترمي النخلَ؟ قال: قلتُ: آكُلُ. قال: فلا ترمِ النخلَ، وكُلْ مما يسقُطُ في أسافلِها. قال: ثم مسَحَ على رأسي، وقال: اللهمَّ أشْبِعْ بطنَه"[٥٠].

في الحديث السابق يروي الصحابي الجليل رافع بن عمرو الغفاري قصةً من قصص الطفولة بما يدور فيها من خطأٍ يسيرٍ، وجهلٍ عابرٍ، وكيف تعامل معه النبيُّ ﷺ؛ حيث حكى لنا هذا الموقف الذي جمعه بالنبي ﷺ لمَّا ذُهِبَ به إليه بعد أن اشتكى الأنصارُ رميَه نخلَهم وإفسادَه، فكيف كان هذا الحوار التربوي الذي دار بينَ معلِّم الإنسانيَّة، وهذا الطفل العدواني الصغير؟

لقد احترمَ المصطفى ﷺ شخصيَّةَ هذا الطفل، ولم يبادر بالزجر والتوبيخ؛ بل آثَرَ أسلوب الحوار ليسمعَ منه، وعدَلَ عن الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي ليُعطيَه حقَّه في التعبير، وتبرير أفعاله، فبدأ بملاطفته بقوله: يا غلامُ، أو يا بُنيَّ، تنبيهًا لهذا الطفل الغافل عن آداب التعامل معَ حقوق الآخرين لكي يحضُر ذهنه، ويتنبَّه للتوجيه النبوي الذي سيردُ بعد هذا النداء، ثم يأتي الاستفهام الذي يبعث الطمأنينة، ويُعطي الطفل المساحة الكافية للدفاع عن نفْسه وتبرير فِعلته: لمَ ترمي النخل؟ وهو استفهام حقيقي يريد منه النبي ﷺ معرفةَ الدافع لهذا السلوك العدواني من هذا الطفل الذي أحسَّ بالأمن من خطاب النبي ﷺ، فبادَرَ بالإجابة بإيجاز: آكُل.

وهنا جاء أسلوب النهي: فلا ترمِ النخلَ، والمقصود ثمار النخل؛ لأن ذلك يُفسدُه ويضرُّ به، فلا ينتفع أهلُه به، ثم أتبع نهيَ الطفل عن رمي الثمار بأمره بالأكْل مما يسقطُ في أسافلها بفعل الرياح وغيرها؛ لأنه مضطرٌّ إلى الأكل منها، وإلَّا فهي داخلةٌ في مِلك الغير الذي لا يجوز التعدي عليه من غير إذْن، والغرض الإنجازي لأسلوبَي الأمر والنهي هنا هو النصحُ والإرشادُ، فالطفل لا يُميِّز بينَ الحلال والحرام.

ثم إنَّ النبي ﷺ لم يترُك هذا الطفل المخطئ الماثل بينَ يدَيْه بعد أن علِم حاجته، بل أشفَقَ عليه، فمسحَ على رأسه ليشعُر بالطمأنينة والسكينة، ثم دعَا له: اللهمَّ أشبِعْ بطنَه؛ لأن الجوع والحاجة الماسَّة إلى الأكل هي التي اضطرته إلى التعدي على أموال الآخرين بالضرر والإفساد.

• حدَّثنا ابنُ نُفَيل، حدَّثنا محمَّد بن سَلَمة، عن محمَّد بن إسحاق قال: حدَّثني يحيى بن عبَّاد، عن أبيه عبَّاد بن عبد الله، عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قَدِمَتْ على النبيِّ ﷺ حِلْيةٌ من عند النجاشيِّ أهْداها له، فيها خاتمٌ من ذهب فيه فصٌّ حبشيٌّ، قالت: فأخَذه رسولُ اللهِ ﷺ بعود مُعْرِضًا عنه، أو ببعض أصابِعه، ثم دَعَا أُمامةَ ابنةَ أبي العاصِ ابنةَ ابنتِه زينبَ فقال: "تَحَلَّيْ بهذا يا بُنيَّةُ"[٥١].

في هذا الحديث تُخبر السيدة عائشة –رضي الله عنها– أنَّ النجاشي أهدى إلى النبي ﷺ حليةً فيها خاتمٌ من ذهب، فأعرَض رسولُ الله ﷺ عنه؛ لأنه محرَّم على الرجال، ثم دعَا حفيدته أُمامة، وكانت طفلةً صغيرةً وخاطَبَها بقوله: تَحلَّيْ بهذا يا بُنيَّة. وهنا نلحظ تأخُّر النداء عن الأمر بعكس كل الأحاديث السابقة التي خاطَبَ فيها النبي ﷺ الطفلَ في مقام التعليم والإرشاد؛ حيث يبدأ بالنداء أولًا لغرض التنبيه وشحذ الذهن، ثم يشرع بالأمر أو النهي، أما في هذا الحديث؛ فقد تأخَّر النداء إلى نهاية الخطاب مراعاةً لحال المتلقي؛ حيث بدأ بالأمر: تحلَّيْ؛ أي: تزيَّني وتجمَّلي، وفي هذا تلبية لحاجات الأنثى التي نُشِّئَت على حُب التجمُّل، وإدخالٌ للسرور على نفْس هذه الطفلة؛ فتقديم الفعل هنا من باب تعجيل المسرَّة، وقد جاء اختيار النبي ﷺ للفعل "تحلَّيْ" بدلًا من الفعل: خذي أو البَسي؛ لأن الفعل تَحلَّيْ يحمِل معاني الجمال والزينة مما يُدخل السرور على قلب

الطفلة، وهكذا يُراعي النبي ﷺ شعور مخاطَبه، وإن كان طفلًا.

❍ الأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة في الخطاب النبوي الموجه للطفل:

استطاع سيرل أن يميّز بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فبيَّن أن الأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم أي يكون ما يقوله مطابقًا لما يعنيه، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم [٥٢] فهي لا تُفهم من ظاهر الكلام، وإنَّما يتدخَّل السياق غير اللغوي أو التداوُلي في إيضاحها للمستمع؛ وذلك لخروجها عن أصل الاستعمال.

وقد تضمَّن الخطاب النبوي علاوةً على الدلالات الصريحة والمباشرة دلالاتٍ مستلزمة غير صريحة تُستنبط من خلال السياق التداولي والإطار العام الذي تمّ فيه الحوار؛ لأنَّ العناصر السياقية وظروف إنتاج الخطاب لها دورٌ واضحٌ في استخلاص المعنى منه وليس فقط دلالة التراكيب. كما أنها المتحكّمة في ضوابط الحديث المؤدب، والتي ترجّح استعمال استراتيجيّة تأدبية على أخرى.

ولْنتأمل سياق الخطاب في النماذج الآتية، وكيف كان مبدأ التأدب هو الداعي لاستخدام قوة إنجازيَّة غير مباشرة (مستلزمة) للتعبير عن قصد المتكلم وفق عناصر السياق لتتحوّل اللغة من أداة تبليغ إلى وسيلة عمل وتأثير، وهذا من أدبه ﷺ وهديه الكامل في الخطاب؛ تحقيقًا للغاية الإبلاغيّة التربويّة التي كُلِّف بها.

•عن عبد الله بن عمرو، قال: رأى النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين، فقال: " أَأُمّكَ أمرتك بهذا؟ " قلتُ: أغسلهما؟ قال:" بل أحرقهما"

رأى النبي ﷺ عبدَ الله بن عمرو –رضي الله عنه– وقد لبس ثوبين معصفرين أي مصبوغين بالعصفر وهو صبغ أحمر فلم ينهَرْهُ من مُنطلَق السلطة على طريقة أصحاب القرار، بل بادره بقوله: "أَأُمّكَ أمرتْكَ بهذا"؟ أي بلبسه. ولم يكن استعمال الاستفهام في هذه العملية التواصلية عفويًّا لطلب المعرفة العادية، وانما هو استعمالٌ مقصود يكشف عن بعدٍ تداوليّ مرتبط بمقاصد المتكلم، وقد وُظِّف توظيفًا دقيقًا؛ إذ تكشف هذه البنية الاستفهامية أنَّ ثمّةَ بعدًا دلاليّا موحيًا يتوارى خلف بنية النص السطحيَّة. ولو اعتمدنا على الصيغة الحرفية للخطاب في قوله "أَأُمّكَ أمرتْكَ بهذا"؟ فقد يُفهم منه مجرد الاستفهام الذي هو استخبارٌ عن الفعل؛ إذ لا علامةَ بنيوية في الخطاب دالَّةً على النهي أو التحذير إلا أنّ القصد هنا مخالف لما يعنيه ظاهر اللفظ فالاستفهام فعل إنجازي طلبي يستلزم الإنكار عليه ومفاده: أنّ هذا من لباس النساء وزينتهنّ. وقد فهم المخاطَب المراد من الخطاب، ولم يقف عند حدِّه المعجميّ بل أدرك أنَّ ثمّة مسوّغًا خفيًّا له، وهو أن النبي ﷺ يُنكر عليه صنيعه وهو على علمٍ يقينيّ بإلزاميّة وقداسة الخطاب النبويّ. فبادر بقوله: أغسلهما؟ أي مما بهما من صبغ. فقال ﷺ: "بل أحرقهما" لقد لفت النبي بجوابه ذهن المتلقي إلى الحكم الشرعيّ. وقد سعى من خلاله إلى تمرير الإجابة في بنيةٍ طلبيّةٍ إلزاميَّة تحقق أعلى مستويات التبليغ؛ فهذا الأمر يستلزم حكما شرعيا هو النهي عن لبس المعصفر وتحريمه على الرجال. قال النووي: "وأما الأمر بإحراقهما فقيل هو عقوبة وتغليظ لزجره، وزجر لغيره عن مثل هذا الفعل" وبذلك تكون القوة الإنجازية الحرفية لقوله: " أحرقهما" هي الأمر بإحراق الثياب، ولكنَّ القوة الإنجازيّة المستلزمة هي الردع والنهي عن لبس المعصفر للذكور.

• حدَّثنا مُسدَّد، حدَّثنا بِشر– هو ابن المفضَّل– حدَّثنا يحيى، عن بشير بن يسار، عن سهل بن أبي حثْمة قال: انطلق عَبْدُ اللَّهِ بنَ سَهْلٍ ومُحَيِّصَةُ بنُ مَسْعُود بن زيد إلى خَيْبَرَ، وهي يومئذٍ صلحٌ، فتَفَرَّقا فأتى محيِّصة إلى عبدِ اللَّهِ بن سَهْلٍ، وهو يتشحَّط في دمٍ قتيلًا، فدفنه ثمّ قدم المدينةَ، فانطلق عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ سَهْلٍ ومُحَيِّصَةُ وحُوَيِّصَةُ ابْنا مَسْعُودٍ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فذهب عبدالرحمن يتكلم فقال: "كَبِّرِ كَبِّر" وهو أحدث القوم، فَسكت، فتكلَّما... الخ الحديث[٥٣].

في السياق التداولي للحديث السابق ثلاثة من الصحابة قدموا إلى النبي ﷺ يخبرونه بشأن صاحبهم الذي قُتل في خيبر، ويجهلون قاتله، فذهب الصحابي عبد الرحمن بن سهل – وكان أصغر القوم –كما في الرواية ليتكلم. فقال له النبي ﷺ: "كبِّر كبّر" في عبارةٍ موجزة لم تجاوز

مقدار الإبلاغ عن المعنى الضمني الذي يريده وهو: ليتكلم الأكبر سنا، وفيه تنبيهٌ على شرف السنّ، وحثٌّ على إكرام الكبير وابتدائه بالكلام؛ لما له من الخبرة والمعرفة في أمور الحياة أكثر من غيره من حدثاء السنّ الذين لم تزل خبراتهم في الحياة قليلة. وتوجيهٌ ألاّ يتقدّم الصغير على الكبير فيتحدث بين يديه احترامًا وتوقيرًا له.

فباستخدام المصطفى ﷺ للفعل " كبّر كبّر" أوصل دلالات ضمنيّة متعدّدة أكبر من حجم الكلمات المُتَلَفَّظ بها، كما أوصل مراده للمخاطَب عن طريق التلميح تاركًا للمتلقي تخمين المعنى المضمر في الخطاب، وهو الأمر بالسكوت (فرض الصمت على مخاطبه)، وذلك ألطف من استخدام الأمر الصريح (اسكت ودع الكبير يتكلم) وفيه تحققت غاية اللباقة التي تَضْمن سير المحادثة باتجاه الإفادة وتحقيق القصد.

ومع ذلك استطاع السامع الوصول إلى المعنى المقصود من خلال السياق والكفاية المعرفية، ودليل فهم السامع للمعنى المضمر قول الراوي "فسكت". لقد استجاب عبد الرحمن بن سهل لتوجيه رسول الله ﷺ استجابةً فوريَّة، بالسكوت وترك الكلام لصاحبَيه، اللَّذَين شرعا يقصّان على النبي القصَّة.

• **عن أبي جعفر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قال: أَرْدَفَنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه، وأَسَرَّ إليَّ حديثا لا أُحَدِّث به أحدًا من الناس، وكان أَحَبَّ ما اسْتَتَرَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هَدَفٌ أو حائشُ نَخْل. يعني: حائط نخل. فدخل حائطا لرجل من الأنصار، فإذا فيه جَمَل، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرْجَر[٥٤] وذَرَفَتْ عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسَح سَرَاتَه -أي: سنامه- وذِفْرَاه[٥٥] فسَكَن، فقال: «مَن رَبُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟». فجاء فتًى من الأنصار، فقال: هذا لي يا رسول الله. قال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي مَلَّكَك الله إياها؟ فإنه يَشْكُو إليَّ أنك تُجِيعه وتُدْئِبه[٥٦]»[٥٧]**

في هذا السياق التداولي حضر النبي ﷺ وعبد الله بن جعفر وفتى من الأنصار في حائط نخل لرجل من الأنصار. فلما رأى النبيّ حال الجمل الذي يبدو عليه الجوع والتعب، سأل عن ملكيَّته، وألَحَّ على معرفة صاحبه بتكرار السؤال المباشر الدالّ على القوَّة الحرفيَّة للخطاب: (مَن ربّ هذا الجمل؟ لمَن هذا الجمل؟ فاستعمال الحرف (مَن) الذي يُستفهم به عن العاقل، يدلُّ على أنَّ غرض المصطفى ﷺ تحديد المالك الفعلي للجمل، فلم يجد الفتى الأنصاري بدًّا من الاعتراف بقوله: هذا لي يا رسول الله.

فلمَّا علم النبي ﷺ بأنَّ الفتى صاحب الجمل المشتكي إليه، لم يشأ أن يعاقبه أو يزجره، بل قرّر أن يرسّخ مبدأ إنسانيًا يحفظ حقوق الحيوان الضعيف الذي ملَّكه الله للإنسان وسخّره لخدمته. فوجَّه إلى الفتى استفهامًا مجازيا بقوله: "أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي مَلَّكَك الله إياها"، فهو لا يقصد به الحصول على معرفة أو ينتظر إجابةً معينة، حيث الدلالة الشكليَّة للاستفهام ليست هي المقصودة مما يؤدي إلى الوصول إلى معنى استلزامي هو الأنسب للسياق، يتمثّل في الأمر بتقوى الله، والنهي عن تجويع البهيمة وتعذيبها، وفيه إرشاد نبويّ للرأفة بالحيوان العاجز، ومعاملته بالإحسان، وإعطائه حقّه من الطعام والراحة. فبذلك خرج الخطاب مخرج القاعدة العامة لتشمل كلّ من ولّاه الله حيوانًا، واكتسب مفهومًا أوسع وأعمّ من دلالته المباشرة ليتحوّل إلى قيمةٍ أخلاقيَّة تحمل وصيّة خالدة للمسلمين أجمعين مفادها الاتصاف بالرحمة.

• **حدَّثنا أبو نُعَيم، حدَّثنا إسحاق بن سعيد، عن أبيه سعيد بن فلان، هو عمرو بن سعيد بن العاص، عن أم خالد بنت خالد.: أُتِيَ النبي صلى الله عليه وسلم بثيابٍ فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: " مَنْ ترون نكسو هذه؟" فسكت القوم، قال: ائتوني بأم خالد. فأُتي بها تُحمل، فأخذ الخميصة بيده، فألبسها، وقال: أبلي وأخلقي[٥٨]. وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال: يا أم خالد، هذا سناه" وسناه بالحبشية: حَسَنٌ.[٥٩]**

لم يكن المصطفى ﷺ يعيش فراغًا في وقته، ولا قلَّةً في مهامّه وأعبائه، بل هو المتحمّل لأعظم أمانة في تاريخ البشريَّة، ومع ذلك فإنه قريبٌ من أمته يرى من مهامّه إدخال السرور على كبيرهم وصغيرهم، حتى إنه ليشارك الطفل فرحته بأشيائه الصغيرة فها هو يتذكر الطفلة ويرسل

بطلبها ليُلبسها بنفسه الخميصة، وكان يمكنه أن يبعث بها إليها ولكنه باشر الأمر بنفسه، بل ويخاطبها بقوله " هذا سناه " ومعناها جميل بلسان الحبشة التي ولدت ونشأت بها أم خالد رضي الله عنها، فمازحها النبي ﷺ ببعض ما يجري على لسانها، وهو ما يجسّد واقعيّة الخطاب النبوي فقوله ﷺ يحاكي أحداث الحياة اليوميّة بكل دقائقها، وهو صورةٌ حيّةٌ لنظام الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والفكريّة التي يعيشها الناس في تفاعل بين أطراف الخطاب وما حولهم من مؤثرات.

وأما الفعل الإنجازي غير المباشر ففي قوله لها "أبلي وأخلقي" وقد ورد في روايةٍ أخرى للبخاري بأنه كررها ثلاثا، فالنبي ﷺ لا يريد المعنى الحرفي وهو الأمر بإبلاء الثوب وإخلاقه، وانما العرب تُطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطَب، فالمعنى المستلزم في قول النبي ﷺ هو الدعاء لها بطول العمر؛ أي أن تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق. " وهنا لم يقتصر على قوله (أبلي) لأنها قد تُبلي هذا الثوب لشدة استعماله وإن لم يَطُل زمنه، فلما قال (وأخلقي) جمع بين الأمرين بأن يكون خلَقا ويبلى، وهذا يتضمن طول عمر الثوب وطول عمر اللابس"[١٠] وقد ظهرت بركة دعاء النبي ﷺ فعُمِّرت أم خالد –رضي الله عنها– حتى كانت آخر مَن مات من الصحابيات –رضي الله عنهنّ–.

وهكذا كشفت الأفعال الإنجازية غير المباشرة عن أعماق مقاصد النبي ﷺ أثناء التخاطب مع الطفل تربيةً وإعداداً وتوجيهًا.

❍ خاتمة البحث:

حظيت نظريَّةُ الأفعال الكلاميَّة بمكانةٍ بارزةٍ داخلَ الحقل اللساني التداوُلي؛ فهي تعكس لنا نشاطًا اجتماعيًّا أكثرَ منها أقوالًا توصَفُ بالصدق أو بالكذب؛ حيث ينعكس أثرها على مستوى استجابة المتلقي، وتوضيح قصد المتكلِّم، وتبليغ المراد من الخطاب.

وقد سعى هذا البحث إلى تقديمِ معالجةٍ تداوُليَّةٍ للأفعال الكلاميَّة في خطاب النبيﷺ الموجَّه للطفل بُغْيةَ الوصول إلى الدلالة المقصودة، والأهداف الضمنيَّة للمتكلِّم، التي لا يُمكن الوصول إليها إلَّا من خلال السياق التداوُلي الذي يجري فيه التخاطُب، رأينا من خلالها كيف كانت المقاربة التداوُليَّة تمثِّل مصدرًا يُثري العديد من الحقول المعرفيَّة المرتبطة بتحليل الخطاب، وفَهْم مقاصده، وكيف أسهمت في فَهْم مقاصد الخطاب النبوي الموجَّه للطفل، وكشفت عن معانٍ خفيَّةٍ خلف الملفوظ المنجَز، ومدى تأثيره في المتلقِّي.

إنَّ جميع الأحاديث السابقة هي أفعال أُنجزَت بأقوالٍ شريفةٍ من المصطفى ﷺ تحمِل شِحنةً دلاليَّةً، مما جعلها وسيلةً للتأثير وتغيير سلوكيَّات المتلقِّين، ولم تُرصد في الخطاب النبوي الموجه للطفل أفعالًا كلاميَّة من صنف الإخباريّات (الأفعال الكلاميَّة الدالَّة على التقرير والتأكيد)، والالتزاميّات (الأفعال الكلاميَّة الدالَّة على التعهد والالتزام)؛ لأنَّ الخطاب النبوي الموجه إلى الطفل يَحمِل في طيَّاته رسالةً توجيهيَّةً وتكليفيَّةً للمخاطَب فكان الغرض الإنجازي العام للأفعال الكلاميَّة فيه هو التوجيه والإرشاد.

وقد خرج البحث بجملةٍ من النتائج، من أهمها:

–لم يكن النبيُّ ﷺ في خطابه يستحضر شخص المتلقِّي فقط، بل كان يستحضر عمومَ المتلقِّين الغائبين المعنيِّين بالرسالة التي يحمِلها خطابُه؛ لذلك جاء هذا الخطابُ منسجمًا معَ السياق التداوُلي الذي يجري فيه.

– تنوَّعت الأفعال الكلاميَّة في الخطاب النبوي الموجَّه للطفل محقِّقةً مجموعةً من الأغراض الإنجازيَّة، وفي جميعها جاء الخطاب قائمًا على قاعدة التودُّد، مجسِّدًا للبُعد التضامني في تعامُل الرسول ﷺ معَ الطفل؛ مما أسهم بشكل كبير في مدِّ جسور المحبَّة والثقة بينَ النبي ومخاطَبه.

–جُلُّ الخطابات النبويَّة الموجَّهة للطفل افتُتِحَت بالنداء الذي كان له دورُه في جانب التفاعل الاجتماعي، وله قيمتُه في تهيئة الطفل لاستقبال التوجيه، وشد انتباهه عند غفلته.

-كانت الأفعال الكلاميَّة الطلبيَّة هي الطاغية على الخطاب النبوي الموجَّه للطفل؛ لأنها تمنح المجال للتعبير، وكان لها حضورها الفاعل، وإسهامها الملموس في الإفصاح عن غايات المتكلِّم، وتمكينها في ذهن المتلقِّي.

وانطلاقًا من الآفاق التي ينفتح عليها هذا البحث أتقدَّم بمجموعةٍ من التوصياتِ التي أطمحُ أن تكون جسرًا يصِلُ بينَ هذا البحث وما يسيرُ على طريقه:

-ضرورة تطوير الخطاب التعليمي والتربوي الموجَّه للطفل في ضوء حاجة المجتمع، معَ تطور وسائل الإعلام الحديثة، وانتشارها الواسع؛ وذلك بالرجوع إلى المصدر الأساسي للتربية، وهو خطاب الوحي.

-تحكيم السياق المقالي والمقامي للخطابات النبويَّة، وعدم قطع التركيب عن سياقه التداوُلي عند دراسته.

-الانفتاح على مستجِدَّات الدرس اللساني في دراسة تراثنا اللغوي الثقافي والإسلامي الذي لا يزال أرضًا خصبةً للدراسة، والتأمُّل، والبحث، فلذلك قيمة علميَّة تخدم اللغة، والدين، والتراث، وتُسهم في تشكيل الوعي.

وفي نهايةِ المَطافِ، كان هذا جُهد المقلِّ، أسألُ اللهَ -عزَّ وجلَّ- أن يكونَ البيانُ النبويُّ نبراسًا يضيءُ دروب حياتِنا، وأن نتمثَّله قولًا وفعلًا، وأن يكون ما قدَّمتُه إضافةً نافعةً في بابِه، وخِدمةً للدراساتِ التداوُليَّةِ، ولَبِنةً صالحةً في بناءِ الدراساتِ المتعلِّقة بالخطاب النبوي والبلاغة النبويَّة.

الهوامش

(١) ، فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ط٢، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، مصر، ٢٠٠٥، ص١١٨.

(٢) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلاميّة) في التراث اللساني العربي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ص١٠.

(٣) جاد عبد الكريم وعبد الله أحمد، المعيارية بين الدراسات النحوية والتداولية، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، ع١٠، (٢٠٢٠): ٢٩١-٣٤٧، ص٣٢١.

(٤) أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١، ص٩٥.

(٥) صحراوي، مسعود، الأفعال الكلامية عند الأصوليين: دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، ع١٠، ٢٠٠٤، ص١٥١.

(٦)كريمر، زيبيله، اللغة والفعل الكلامي والاتصال: مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، ط١، ترجمه إلى العربية: أ.د سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠١١، ص٨٩.

(٧) التداولية عند العلماء العرب، ص٤٠.

(٥) العبد، محمد، نظرية الحدث اللغوي تحليل ونقد، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج٢، ع٤، يناير- مارس، ٢٠٠١م، ص ١٥.

(٩) جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة إشراف عز الدين المجدوب، تونس، ٢٠١٠، ص٦٧.

(١٠)العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط١، دار الأمان، الرباط، ، ٢٠١١، ص٨٧.

(١١) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ٢٠٠٢، ص٤٧.

(١٢) المرجع السابق، ص٧٨.

(١٣) اللغة والفعل الكلامي والاتصال، ص٩٤.

(١٤) يُنظر: جورج يول، التداولية، ترجمة الدكتور قصيّ العتابي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، ٢٠١٠، الصفحات من ٨٩-٩١، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤٩-٥٠.

(١٥) زحاف، يوسف، أسس نظرية الأفعال الكلامية في اللسانيات التداولية، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، ع٩، ٢٠٢٠، ص١٤.

(١٦) المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية – مراجعات ومقترحات، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٠، ص١٨٢-١٨٣.

(١٧) يُنظَر: الخليفة، هشام، نظرية الفعل الكلامي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٠-٢١.

(١٨) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، در المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ٢٠٠٢، ص٣٩-٤٠.

(١٩) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٧، ص٦٠.

(٢٠) عبيد، حاتم، نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، عالم الفكر، مج٤٣، ع١، ٢٠١٤، ص٢.

(٢١) العبد، محمَّد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديث للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ٢٠١٤، ص٥٣.

(٢٢) بنيلوبي براون وستيفن لفنسن، نظرية التأدب بعض الكليات في استعمال اللغة، ترجمة وتقديم: هشام الخليفة، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمَّان، ط١، ٢٠٢٣، ص٢٦.

(٢) الفتلي، حميد، مبدأ التأدب في عهد الإمام علي إلى مالك الأشتر قراءة تداولية، مجلة المبين، العدد ٤، السنة الثانية، ٢٠١٧، ص١٢٢.

(١) يُنظر: التداولية لجورج يول، ص٨٩، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٠.

(٢٥) صحيح البخاري، كتابُ أَصْحَاب النَّبِيِّ ﷺ، بَابُ: مَنَاقِب الحَسَن وَالحُسَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حديث رقم ٣٧٤٦، ص١٦٤٨.

(٢٦) مسند أحمد، مجلد ٢٠، حديث ١٣١٧٦، ص٤٠٩.

(٢) يُنظر: التداولية لجورج يول، ص٩٠، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٠.

(٢٨) وناسة كرازي، أفعال الكلام في أحاديث الرسول ﷺ دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٧-٢٠١٨، ص١٩٦-١٩٧.

(٢٩) صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ، بَابُ: التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالأَكْلِ بِاليَمِينِ، شرح حديث رقم ٥٣٧٦، ص٢٤٤٠.

(١) الغلام: الصبي حين يُقارب سنَّ البلوغ، أو من حين يولَد إلى أن يشيب، (ج) غِلْمانٌ وغِلْمةٌ، "مجمع اللغة العربية في القاهرة".

(٣١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ: تَحْرِيمِ الزَّكَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ دُونَ غَيْرِهِمْ، حديث ١٠٦٩، جزء ١، ص٧٤٩.

(٣٢) بفتح الكاف وكسرها وسكون المعجمة، وهي كلمة لردع الصبي عند تناوله ما يُسْتَقْذَر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٣، ص٤٤٧.

(٣٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٣، ص٣٥٥.

(٣٤) كمال أحمد محمَّد زين، أساليب التلطف النبوي مع الأطفال في الصحيحين دراسة بلاغية تحليلية، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد السابع عشر، ٢٠١٣، ص٢١٨٩.

(٣٥) الحملي، نورة بنت أحمد، إستراتيجيات التأدب في رواية "سعادة السفير" لغازي القصيبي، مجلة الآداب مج٣٥، ع٣ (٢٠٢٣): ٢٣- ٣٩، ص٣٠.

(٣٦) سنن أبي داود، مجلد ٥، حديث ٤٩٦٩، أول كتاب الأدب، باب: الرجل يتكنَّى وليس له ولد، ص١٥٨.

(٣٧) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٩٨، ص٢٤١.

(٣٨) أعطاه الشراب في يده.

(٣٩) صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ، حديث رقم ٢٤٥١، ص١٠٧٣.

(٤٠) صحيح مسلم، مجلد ٧، كتاب الفضائل، باب: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلُقًا، ص٧٤.
(٤١) شرح النووي على مسلم، (٧٩/٨).
(٤٢) المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية – مراجعات ومقترحات، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٠، ص٢١٥.
(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٠٤.
(٤٤) لقد كان عبد الله بن عمر رغم صغر سنه يتمنى الخير، ويقول في نفسه: لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء، يعني الصحابة الذين يرون الرُّؤى ويقصونها على النبي ﷺ، فحقَّق الله أمنيته بهذه الرؤيا.
(٤٥) يُنظَر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، المجلد ٣، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، ص١١.
(٤٦) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، حديث رقم ١٤٣، ص٨٤.
(٤٧) صحيح البخاري، مجلد ٥، حديث ٣٧٥٦، كتاب: فضائل أصحاب النبي – باب: ذكر ابن عباس –رضي الله عنهما– ص٢٧.
(٤٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المجلد ١، كتاب العلم، ص٢٢٤.
(٤٩)العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ١٧، ص٩٧–٩٨.
(٥٠) سنن ابن ماجه، مجلد ٣، حديث ٢٢٩٩، كتاب التجارات، ص٦١١.
(١) سنن أبي داود، مجلد ٤، حديث ٤٢٣٥، باب: ما جاء في الذهب للنساء، ص٢٨٠.
(٥٢) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٠–٥١.
(٥٣) صحيح البخاري، مجلد٤، كتاب الجزية– باب الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال، حديث ٣١٧٣، ص١٠١.
(١) أصدر صوتًا عميقًا في حنجرته من الضجر أو الشكوى.
(٢) الموضع الذي يَعْرَق من قفا البعير عند أذنه، وهما ذِفْريان.
(٣) تُكِدّه وتُتْعبه في العمل الكثير.
(٤) سنن أبي داوود، مجلد٣، كتاب الجهاد، باب: ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، حديث ٢٥٤٩، ص٣٧.
(١) قال الخليل: أبلِ وأخلقْ معناه عش وخرق ثيابك وارقعها، وأخلقت الثوب أخرجت باليه ولفقته (فتح الباري، ص٢٣٦).
(٢) صحيح البخاري، مجلد٧، حديث ٥٨٢٣، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، ص١٤٨.
(١) دروس الشيخ محمد ابن عثيمين في شرح صحيح البخاري، شرح كتاب اللباس، موقع أهل الحديث والأثر، أضيفت في ٢٠٠٤/١٢/١٤.

مصادر البحث ومراجعه:

أولا: المصادر:
١– **القرآن الكريم**
٢– أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ط٢، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٧هـ.
٣– البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٤– ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند: تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ.
٥– ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ط٢، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٩هـ.
٦– الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ط٢، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٩هـ.
٧– النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، (د.ت).
٨–النيسابوري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، ط٢، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٠م.
ثانيا: المراجع:
١–أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.

٢-بنيلوبي براون وستيفن لفنسن، نظرية التأدب بعض الكليات في استعمال اللغة، ترجمة وتقديم: هشام الخليفة، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمَّان،٢٠٢٣م.
٣-جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة إشراف عز الدين المجدوب، تونس، ٢٠١٠م.
٤-جورج يول، التداولية، ط١، ترجمة الدكتور قصيّ العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، ٢٠١٠م.
٥-دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ط١، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت، ٢٠٠٨م.
٦-صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلاميّة) في التراث اللساني العربي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.
٧-العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ٢٠١٤م.
٨-عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب، ١٩٩٨م.
٩-العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط١، دار الأمان، الرباط، ٢٠١١م.
١٠-فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ط٢، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.
١١-فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي،١٩٨٧م.
١٢-كريمر، زيبيله، اللغة والفعل الكلامي والاتصال: مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، ط١، ترجمه إلى العربية: أ.د سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠١١م.
١٣- المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٠م.
١٤- نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ٢٠٠٢م.
١٥- الخليفة، هشام، نظرية الفعل الكلامي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧م.

ثالثا: الأبحاث والدراسات:

١-جاد عبد الكريم وعبد الله أحمد، المعيارية بين الدراسات النحوية والتداولية، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، ع١٠، ٢٠٢٠م.
٢-الفتلي، حميد، مبدأ التأدب في عهد الإمام علي إلى مالك الأشتر قراءة تداولية، مجلة المبين، العدد ٤، السنة الثانية، ٢٠١٧م.
٣-زحاف، يوسف، أسس نظرية الأفعال الكلامية في اللسانيات التداولية، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، ع٩، ٢٠٢٠م.
٤-صحراوي، مسعود، الأفعال الكلامية عند الأصوليين: دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، ع١٠، ٢٠٠٤م.
٥-العبد، محمد، نظرية الحدث اللغوي تحليل ونقد، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج٢، ع٤، يناير- مارس، ٢٠٠١م.
٦-عبيد، حاتم، نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، عالم الفكر، مج٤٣، ع١، ٢٠١٤م.
٧-كمال أحمد محمد زين، أساليب التلطف النبوي مع الأطفال في الصحيحين دراسة بلاغية تحليلية، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد السابع عشر، ٢٠١٣م.
٨-الحملي، نورة بنت أحمد، إستراتيجيات التأدب في رواية "سعادة السفير" لغازي القصيبي، مجلة الآداب مج٣٥، ع٣، ٢٠٢٣م.
٩-وناسة كرازي، أفعال الكلام في أحاديث الرسول ﷺ دراسة تداولية في موطأ الإمام مالك، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٧-٢٠١٨م.

Research Sources and References:

First: Primary Sources:

-١The Holy Quran.

-٢Abu Dawud, Sulayman ibn al-Ashʿath al-Sijistani, *Sunan Abi Dawud*, 2nd ed., Al-Maʿarif Library for Publishing and Distribution, Riyadh, 1427 AH.

-٣Al-Bukhari, Abu ʿAbd Allah Muhammad ibn Ismaʿil, *Sahih al-Bukhari*, Dar al-Fajr for Heritage, Cairo, 2005 CE.

-٤Ibn Hanbal, Ahmad ibn Muhammad, *Al-Musnad*, edited by Ahmad Muhammad Shakir, 1st ed., Dar al-Hadith, Cairo, 1416 AH.

-٥Ibn Majah, Muhammad ibn Yazid al-Qazwini, *Sunan Ibn Majah*, 2nd ed., Al-Maʿarif Library for Publishing and Distribution, Riyadh, 1429 AH.

-٦Al-Tirmidhi, Muhammad ibn ʿIsa, *Sunan al-Tirmidhi*, 2nd ed., Al-Maʿarif Library for Publishing and Distribution, Riyadh, 1429 AH.

-٧Al-Nasaʾi, Ahmad ibn Shuʿayb, *Sunan al-Nasaʾi*, Al-Maʿarif Library for Publishing and Distribution, Riyadh, [n.d.[.

-٨Al-Naysaburi, Muslim ibn al-Hajjaj, *Sahih Muslim*, 2nd ed., Darussalam for Publishing and Distribution, Riyadh, 2000 CE.

Second: References:

-١Austin, *General Speech Act Theory (How to Do Things with Words)*, translated by ʿAbd al-Qadir Qunini, Afrique Orient, 1991 CE.

-٢Penelope Brown and Stephen Levinson, *Politeness Theory: Some Universals in Language Usage*, translated and introduced by Hisham al-Khalifa, 1st ed., Dar Kunuz al-Maʿrifa for Publishing and Distribution, Amman, 2023 CE.

-٣Jacques Moeschler and Anne Reboul, *Encyclopedic Dictionary of Pragmatics*, translated by a group of professors under the supervision of ʿIzz al-Din al-Majdub, Tunisia, 2010 CE. 4- Yule, George, *Pragmatics*, 1st ed., translated by Dr. Qusay Al-Atabi, Arab Scientific Publishers, Beirut, Lebanon, 2010.

-٥Maingueneau, Dominique, *Key Terms in Discourse Analysis*, 1st ed., translated by Mohamed Yahyaten, Arab Scientific Publishers, Beirut, Lebanon, 2008.

-٦Sahraoui, Masoud, *Pragmatics Among Arab Scholars: A Pragmatic Study of the Phenomenon of 'Speech Acts' in Arab Linguistic Heritage*, 1st ed., Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, Beirut, 2005.

-٧Al-Abd, Mohamed, *Text, Discourse, and Communication*, Modern Academy for University Books, Cairo, Egypt, 2014.

-٨Abderrahmane, Taha, *Language and the Scale (or Intellectual Proliferation)*, 1st ed., Arab Cultural Center, Morocco, 1998.

-٩Al-Ayachi Adraoui, *Conversational Implicature in Linguistic Pragmatics*, 1st ed., Dar Al-Aman, Rabat, 2011.

-١٠Van Dijk, *Text Science: An Interdisciplinary Approach*, 2nd ed., translated and annotated by Saeed Hassan Beheiry, Dar Al-Qahira, Egypt, 2005.

-١١Armengaud, Françoise, *The Pragmatic Approach*, translated by Saeed Alloush, National Development Center, 1987.
-١٢Kremer, Sibylle, *Language, Speech Act, and Communication: Perspectives on 20th-Century Linguistic Theory*, 1st ed., translated into Arabic by Prof. Dr. Saeed Hassan Beheiry, Zahraa Al-Sharq Library, Cairo, 2011.
-١٣Mabkhout, Chokri, *The Sphere of Linguistic Acts: Revisions and Proposals*, 1st ed., United New Book House (Dar Al-Kitab Al-Jadid Al-Muttahid), Beirut, 2010. 14- Nahla, Mahmoud Ahmed, *New Horizons in Contemporary Linguistic Research*, Dar Al-Ma'rifa Al-Jami'iyya, Alexandria, 2002.
-١٥Al-Khalifa, Hisham, *Speech Act Theory*, 1st ed., Librairie du Liban Publishers, Beirut, 2007.

Research Sources and References:

First: Primary Sources:

-١The Holy Quran.
-٢Abu Dawud, Sulayman ibn al-Ashʿath al-Sijistani, *Sunan Abi Dawud*, 2nd ed., Al-Maʿarif Library for Publishing and Distribution, Riyadh, 1427 AH.
-٣Al-Bukhari, Abu ʿAbd Allah Muhammad ibn Ismaʿil, *Sahih al-Bukhari*, Dar al-Fajr for Heritage, Cairo, 2005 CE.
-٤Ibn Hanbal, Ahmad ibn Muhammad, *Al-Musnad*, edited by Ahmad Muhammad Shakir, 1st ed., Dar al-Hadith, Cairo, 1416 AH.
-٥Ibn Majah, Muhammad ibn Yazid al-Qazwini, *Sunan Ibn Majah*, 2nd ed., Al-Maʿarif Library for Publishing and Distribution, Riyadh, 1429 AH.
-٦Al-Tirmidhi, Muhammad ibn ʿIsa, *Sunan al-Tirmidhi*, 2nd ed., Al-Maʿarif Library for Publishing and Distribution, Riyadh, 1429 AH.
-٧Al-Nasaʾi, Ahmad ibn Shuʿayb, *Sunan al-Nasaʾi*, Al-Maʿarif Library for Publishing and Distribution, Riyadh, [n.d.[.
-٨Al-Naysaburi, Muslim ibn al-Hajjaj, *Sahih Muslim*, 2nd ed., Darussalam for Publishing and Distribution, Riyadh, 2000 CE.

Second: References:

-١Austin, *General Speech Act Theory (How to Do Things with Words)*, translated by ʿAbd al-Qadir Qunini, Afrique Orient, 1991 CE.
-٢Penelope Brown and Stephen Levinson, *Politeness Theory: Some Universals in Language Usage*, translated and introduced by Hisham al-Khalifa, 1st ed., Dar Kunuz al-Maʿrifa for Publishing and Distribution, Amman, 2023 CE.
-٣Jacques Moeschler and Anne Reboul, *Encyclopedic Dictionary of Pragmatics*, translated by a group of professors under the supervision of ʿIzz al-Din al-Majdub, Tunisia, 2010 CE. 4- Yule, George, *Pragmatics*, 1st ed., translated by Dr. Qusay Al-Atabi, Arab Scientific Publishers, Beirut, Lebanon, 2010.
-٥Maingueneau, Dominique, *Key Terms in Discourse Analysis*, 1st ed., translated by Mohamed Yahyaten, Arab Scientific Publishers, Beirut, Lebanon, 2008.

-٦Sahraoui, Masoud, *Pragmatics Among Arab Scholars: A Pragmatic Study of the Phenomenon of 'Speech Acts' in Arab Linguistic Heritage*, 1st ed., Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, Beirut, 2005.
-٧Al-Abd, Mohamed, *Text, Discourse, and Communication*, Modern Academy for University Books, Cairo, Egypt, 2014.
-٨Abderrahmane, Taha, *Language and the Scale (or Intellectual Proliferation)*, 1st ed., Arab Cultural Center, Morocco, 1998.
-٩Al-Ayachi Adraoui, *Conversational Implicature in Linguistic Pragmatics*, 1st ed., Dar Al-Aman, Rabat, 2011.
-١٠Van Dijk, *Text Science: An Interdisciplinary Approach*, 2nd ed., translated and annotated by Saeed Hassan Beheiry, Dar Al-Qahira, Egypt, 2005.
-١١Armengaud, Françoise, *The Pragmatic Approach*, translated by Saeed Alloush, National Development Center, 1987.
-١٢Kremer, Sibylle, *Language, Speech Act, and Communication: Perspectives on 20th-Century Linguistic Theory*, 1st ed., translated into Arabic by Prof. Dr. Saeed Hassan Beheiry, Zahraa Al-Sharq Library, Cairo, 2011.
-١٣Mabkhout, Chokri, *The Sphere of Linguistic Acts: Revisions and Proposals*, 1st ed., United New Book House (Dar Al-Kitab Al-Jadid Al-Muttahid), Beirut, 2010. 14-Nahla, Mahmoud Ahmed, *New Horizons in Contemporary Linguistic Research*, Dar Al-Ma'rifa Al-Jami'iyya, Alexandria, 2002.
-١٥Al-Khalifa, Hisham, *Speech Act Theory*, 1st ed., Librairie du Liban Publishers, Beirut, 2007.